قضايا إسلامية

براءة من السماء

د. أحمد درة



الهيئة المصرية العامة للكتاب

قضايا اسلامية

بَراءة من السّماء

د. أحمد درّة



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩١

الاخراج الفنى : ماجده البقا

الاهـــــداء

اليك أيها النور الســـارى فى الوجود منذ خلق الله الأرض وما عليها .

اليك يا رســول الله .

وقد أضاءت دربى فلا أزال انهل من خطــاك فى طريق الحقيقــة .

((وما أرسلك الله الا رحمة للعالمين حقا)) .

أحمـد

مقدمـــة

عندما فتحت عينى ذات صـباح منذ عشر أعوام كان صوت عذب ينبعث من الاذاعـة يبشر المظلوم ، وينذر من دعوته حتى ولو كان كافرا . ولا أدرى أكنت قد ذقت شـيئا من ظلم ، فكأنى أسمع لأول مرة هـذا الحديث .. واستقبله استقبالا مختلفا عن أى حديث يتلى على وشعرت برهبة شديدة لا أخفى عليك ، أن أكون قد ارتكبت ساعتئذ ظلما فحاق فى صـدرى وكرهت أن أصلى دعوة مظلوم تفتح لها أبواب السماء على أنى تحريت ، ومحصت ما بين نفسى ونفسى أدركت دمعة تهتف فى أسى ، وتنحدر على خدى . اللهم انى

مظلوم فأنتصر ، ومضت الأيام وعرفت كلماتى طريقـا الى سـاحات الرأى وبينما أفتح بعض ما طويت من صفحات ، كتبتها فى يوم مسنى الظلم فيه ، وحومت فوق أشـجانى خطى الألم العميق ، كنت عكفت على سيرة أضاءت على مسيرة الهدى المحمدى يوم تهدلت البشرية وانغمست فى ظـلام سادر بهيم ، وقد كانت سـيرة السيدة عائشة رضى الله عنها ، متنفسا أزاح عن صدرى هما واستل من اعطافه مدى مسمومة ، ارتشقت بأيد ملوثة لئيمة ، ومع كل سطر من سيرتها الطـاهرة كان شفاء لصدرى المضطرب المتوجس من النـاس جميعا ، وتمنيت أن يزيد الطاعنون من الخلف طعناتهم ، تمنيت ذلك لأنى اذ مضيت مع السيدة عائشة أقرأ محنة الانسان فى سيرتها ، رأيت أن قوة تمنحنى الطمأنينة للانتصار ، وأن كل طعنة جديدة ، تعضد من قوتى وتقربنى الى النور وهو فوز ليس ككل فوز انما هو عطاء لا ينتهى فى مشوار الحياة الطويل .

نعم عنـدما رأيت الجليـلة ترمى بأشنع التهم ، ويحيط بها همس غامض ويستفحل اللغط ويتناثر الاتهام

بلا ضابط،وبلا ارعواء من المرجفين ، عندما رأيت هذا أحسست بالمر يلذع حلقي ، وبالألم يحـاصر وجداني ، انما لبرهة ، حتى اذا انتهيت من قراءة حياتها اطمأن قلبي الى رحمته وحكمته .

وساعة أن قرأت سـورة النور تخيلت أنها نزلت فقط وقت قـراءتي لهـا ، فأنا مازلت عند سـطر فيه الكاذبـون منطلقـون بين الناس يتولون كبر الأفـك ويرمون المحصنة الطاهرة بالزنا الفاحش أحسست بأني في حاجة لمن يرفع الظلم عن أم المؤمنين حين تأخر الوحي وحين أعرض الناس عنها اعراضـا ، وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في حيرة شديدة، التبس الأمر وتعقد حتى ضاقت النفوس به ، وصارت فتنة ، وأي فتنة .

ولم يتخل أولو العزم من المؤمنين عن السيـدة عائشة . وسمعنا منهم كلاما طيبا فيها حتى حين بلغت الشـدة ذروتهـا ولم يكن من مخـرج الا بوحي من السـماء .

أي شعور بالظلم الغادر يتولاني هـذه اللحظة ، دمعة .. ودمعة .. ودمعة ، كالحريق كالخضم الهادر

فى الضمير اهتز اليها ، يا أيها الصبر أين أنت من ذلك الصبر الذى ينبع من أعماق سيدة النساء وأم المؤمنين.

وكأنى أقوم الآن أصرخ فى وجه الحياة نزلت البراءة من السماء ، أيها الصابرون فى الأرض هذه براءتكم أيضا ، من أقاويل المتقولين ، أيها المظلومون فى الأرض أين ما ظلمتم فيه مما ظلمت فيه السيدة عائشة رضى الله عنها .

هى براءتكم اذن ، هى سلواكم حين يستبد بكم الليل ، ويطول عليكم الظلم .

وتدوس أعناقكم أحذية الظالمين ومهما طال .. مهما طال الظلم لابد يوما أن تظهر الحقيقة ، وينصف الله كل من وقع فريسة لظالم فاجر ، وكلما تأخرت الحقيقة فى مجيئها فانما هى تكتمل فى ضمير الغيب لتصبح بدرا فى تمامه حين تبدو ، فلا ينكرها حينئذ الا الأعمى ، يفضح نفسه حين يشهد شهادة ظالمة بأن البدر فى محاق .

وهو يضىء الأفق باذن الله .

د. أحمد درة

تاجر .. صدوق .. فى زمن الجاهلية :

قبل بعثة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اشتهر عبد الله بن أبى قحافة بالصدق الشديد والأمانة المخلصة ، حين ساد العصر سلوك شائه ونفوس تلهو بالقيم وتعبث بالأخلاق ، وكان الأمناء فى هذا العصر يشار اليهم بالبنان فيعدون على الأصابع ، كان شيئا نادرا أن تجد رجلا على أخلاق رفيعة كتلك التى كان عليها ابن أبى قحافة ، يرعى الزمم ويتحرق الصدق ويحفظ الأمانة ويؤديها الى أهلها .

رجل يقف منفردا ، فريدا فى عصره ، ترهص كل خطوه بشىء غامض ، وبدور قوى فى الحياة المقبلة ، الحياة التى ينفرج عنها الظلام الكثيف شيئا فشيئا فاذا نور محمد يثقب الظلام ، ويعود يوما من غار حراء ، يهتف فى زوجته وهو يرتعد ويرتعش ، وتنتفض أساريره ، دثرينى .. دثرينى .. واذا النداء يا أيها المدثر .. قم فأنذر .. وكانت كل المقدمات تقول بأن

ابن أبى قحافة سيكون له شأن كبير فى رسالة هـذا « المدثر » •• فى نور الأمين الذى غير ببعثته حـركة التاريخ الى أشرف وأنبل صراط •• صراط الله العزيز الحـكيم •

مولد الصـديقة :

فى دار ابن أبى قحافة •• ون أحشاء طاهرة شريفة من أحشـاء أم رومان بن عـامر •• ولدت السـيدة عائشـة •

فرحة تنبعث من بين عينى أبيها عبد الله بن أبى قحافة • ومن وجه أمها التى لم تشعر بآلام المخاض ، ولا شعرت بشىء غير سرور يسرى فى كل كيانهـا وأسموها عائشة •• تيمنا بمعنى الاسم ؟ ارضاء لاحدى قريبـات أبيها أو أمها •• ؟

المهم •• أنها سميت عائشة ••

نشـــأت عائشة فى خلاصـــة تيم •• القوم الذين اشتهروا بظرف الرجال وتدليل النســـاء • ترتع وتلهو شأنها شأن أية صبية حديثة السن يغالبها اللهو واللعب •

محمولة الى الخطبـــة :

واذا هى بين نشوة اللعب ، وسعادة الانطـــلاق بين أترابها متميزة مسومة ، ذكاء يشـــع من عينيهـــا ، تحسبها اذا رأيتها فى لهوها ملكا كريما ، اذ يخـــالط حمرة وجهها آيات الذكاء التى لا تدرك الا بالشـــعور العميق • واذا هى فى مرحها هذا •

فهى تدفع أرجوحة••كن يلعبن بها هىوأترابها•

أتى رهط من نسوة •

ينادين عليها •• : عائشة •• تعالى •

تتأبى •• وتغضب ، هى منصرفة فى لعبها كيف ••؟ لـــاذا الآن ؟

الآن حين اللعب واللهو ، وما أحلى اللعب واللهو في هذه السن الحديثة .

لن يستسلمن الى رفضها فالأمر جد خطير .. ، جذبنها ، صرخت .. ، حملنها وهى تحاول التخلص من أيديهن ، فلا تستطيع الا مقاومة برجليها ، وصراخ لم يتوقف حتى عدن بها الى المنزل .

وطوال الطريق يحاول النسوة بابتسامات ضافيات أن يفهمنها ، انه لن يلحق بها أذى ، وانه لخير كالمطر المنهر سوف ينصب على نحالتك وهزلك هذين صبا ، فيبعث فيها النضارة والحياة ، وليجعلن مكانتك أسمى وأرفع مكانة تحظى بها امرأة على طول العصور .

ولم تزل على جهلها بالأمر ، والنسوة يجهزنها في دقة ، الأمر اذن جد خطير لقد كان تجهيزا غير عادى .

وأتين بها النبى صلى الله عليه وسلم .. وقدر محتوم .. هو امتثال لأمر الله .. ونزول على تقديره ، هو زواج من خير خلق الله .. يضعها في منزلة جديدة ، ومقدار آخر غير نساء العرب أجمعين .

والله غالب على امره :

لقد كانت السيدة عائشة طفلة حديثة السن ، لا تتجاوز السابعة حين خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن قد بلغت من النضارة .. واكتمال الأنوثة ما يغرى بها رجل .. هذه واحدة .

ومنذ فترة قبل أن يذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم .. كان المطعم بن عدى قد خطبها لابنه ، وأبو بكر رجل صادق لا يخلف وعدا ، ولا يتحلل منه مهما كانت العواقب ، واذا أراد الله لشيء أن ينفذ ، فلا راد لارادته ، ولا معقب لحكمه ، رسول الله الذى آمن به أبو بكر ، وصدقه يخطب ابنته لتكون فى منزل يهبط الوحى فيه ، وتكون فى كنف النور الأعظم .

ماذا يا ترى يفعل هذا الرجل الذى لا يخلف وعدا ، ويريد فى نفس الوقت أن يدفع بابنته الى أشرف وأكرم بيت يمكن أن تقيم فيه على الأرض ، بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمناه فأمضاه الله :

ترك أبو بكر منزل المطعم بن عدى ٠

ماذا من أمرك يا مطعم ، انى أطرق الباب منذ وقت طويل ولا أحد يجيب ٠

رد المطعم ، وهو يخفى وراء قلبه شيئا ، يصطنع ابتسامة لكنها صفراء فاقعة ، تبهت شيئا فشيئا ٠

لا ٠٠ لا شيء ٠٠ كنا مشغولين فى بعض الأعمال يا ابن أبى قحافة ٠

امرأته تحاول أن تتماسك ، فى دهاء ٠ لكنه يبدو ٠٠ تطرق بوجهها وترحب « بالصديق » بكلمات لا تكاد تنفلت من تحت أسنانها المنطبقة من الغيظ ٠

اذن فالأمر غريب ، أبو بكر رجل فطن ، شفاف السريرة لقد حدث شيء يكتمانه ، وينهربان منه وافرحتاه لقد أتم الله نعمته يا ابن أبى قحافة ، قل ماذا ٠٠ قل يا مطعم ٠٠ماذا تخفى من أمر خطبة ابنك لابنتى عائشة٠

تراجع الرجل متخـاذلا ونظر الى زوجته مستكينا
ما تقولين :

قولى .. نبئيه اذا أنت .

المرأة تلوى عنقها ، وتنظر تحت قدميها،ثم تتجه ناحية أبى بكر ، وتقول فى تثاقل وخزى :

لعلنا اذا انكحنا هذا الفتى ابنتك .. تدخـله فى دينك .

ولا يكاد الصديق يصدق ، ومن شدة اغتباطه ، اندفع الى المطعم نفسه قائلا :

ما تقول أنت أريد أن اسمعها منك أنت .

فرد المطعم وهو يبدى حسرة مصطنعة :

هو ما قالت امرأتى .

حينئذ انطلق أبو بكر الصديق جزلا فرحا ، تمنى لو حملته الريح الى حيث يزف الخبر الى أهل بيته .

مشهد فى بيت الرسول :

ماذا تتوقع اذ البيت خال من النصيرة والحبيبة وأم فلذة الاكباد، ماذا ترى اذن من ملامح ترتسم على وجه رقيق المشاعر ، العطوف الذى يحنو على الأمة جميعا ، ويحرص على رفاقه وصحابته وأتباعه حرصه على نفسه ماذا تشعر اذن وأنت تنظر الى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم والسيدة خديجة أول من تلقته وهدأت من روعه ، ودثرته ، حين طلب اليها وهو يرتعد، ويصطرع فى داخله مما رأى فى غار حراء ، ومما نزل عليه من قول ثقيل . ماذا ترى اذ السيدة التى صدقته حين كذبه الناس وأمنته حين أرهبه الناس وعبدت له الحياة الكريمة ليتفرغ لدعوته ، ويستعد لما وكل اليه من عبىء ثقيل .. ثقيل .

ماذا ترى الرسول وهو جالس وحيدا يتقبل فيها العزاء . لا أستطيع أنا الآخر أن اجتهد خيالا فى وصف ما يكون عليه .. سيد البشر صلوات ربى وسلامه

عليه .. لكنه كان حزينا بما لا يدع ذلك مجالا للشك .

بينما هو فى حزنه العميق (ان القلب ليحزن وان العين لتدمع) .

بينما هو على ذلك اذ دخلت عليه السيدة (خولة بنت حكيم) حاولت أن تلطف من حر هذا الحزن الشديد ، وهى سيدة قوية الذكاء ، سمحة الطلعة ، لا تكاد تقترب من الرسول حتى همست فى دعابة : الا تتزوج يا رسول لتخرج من هذا الجو الكئيب المظلم .. ان أمامك رسالة يا رسول الله ، ولو نطقت السيدة خديجة رضى الله عنها فى لحدها لأيدت رأيى ولزوجتك هى بنفسها . كلنا فداؤك يا رسول الله ، لا بد من أن تستعين بزوجة لكى تمضى الحياة الى مبتغاها ، وتتفرغ أنت لما خلقت له ، ويسرت له .

صدقت اذن السيدة « خولة » فما بال الرسول الأمين الهادى البشير وقد استسلم الى حزن شديد

وهو أمام تحد كبير ، رحيل عمه « أبى طالب » ورحيل زوجته السيدة « خديجة » ، فقدهما فى وقت ما أشد حاجته اليهما ، أعز نصيرين ، وأقوى شخصيتين يمكن أن يفيدا الحركة الاسلامية فائدة قوية ..

عام الحزن اذن ..

ولكن أيليق بحبيب الرحمن أن يستسلم لهذا الحزن .. اذن فكلام السيدة خولة حق ..

الزواج يا رسول الله ..

قال : ومن ؟

قالت : ان شئت بكرا وان شئت ثيبا .

قال : من البكر .. ومن الثيب ؟

قالت : أما البكر فعائشة ابنة أحب خلق الله اليك ، وأما الثيب فسودة بنت زمعة .

لم يكن من رسول الله .. الانسان .. الذى يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، ويتزوج ، وينجب ، ويحب ويقول يارب : هذا قلبى بيدك .

لم يكن من الرسول صلى الله عليه وسلم الا أن رد على السيدة خولة فى لطف بالغ : آمنت بك وأتبعتك .

وكلفها الرسول بمهمة رسمية لتذكرهما عليه .

مشهد فى بيت الصديق :

لم تكد تحصل خولة بنت حكيم على موافقة رسول الله حتى انطلقت كالسهم المريش الى هدف ارتضاه الله ورسوله ، وقضى به مسبقا فى حكمه الازلى .

ـ أم رومان .. أم رومان .

ـ ماذا بك يا خولة بنت حكيم .

ـ يا أم رومان .. يا أم رومان .. ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة .

ـ ماذا تقولين ؟ ..

ـ رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر عائشة ..
وافرحتاه .. واذا بقدوم أبى بكر على صـوت خولة ،
وهو يرتفع بالبشرى .

ـ ماذا تقولين يا خولة ؟ ..

ـ أقول : أقول والله الخير كل الخير .. رسول
الله يذكر عائشة .

رد أبو بكر وهويبتسم وعيناه تكادان أن تدمعا
من الفرحة الغامرة .

ـ أو تصلح له وهى ابنة أخيه ؟

ذهبت خولة ، وعادت فى لمح البصر . ذهبت الى
الرسـول صلى الله عليـه وسلم ، وعادت الى منزل
الصـديق .

ـ رسول الله يقول لك يا أيها الصـديق .. أنا
أخوك وأنت أخى وابنتك تصلح لى .

يكاد يقفز الرجل الوقور من الفرحة ، والله ان فى
الأمر ارادة الهية فوق النهى .. وافرحتاه .. ما هـذا

الشعـــور الذى يجتـــاحنى ، ابنتى ستخلف السيدة خديجة .. ابنتك ســتكون أما المؤمنين .. زوجة من سيد البشر .

قال أبو بكر مغتبطا مشتاقا : قولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فليأت ..

***

أتى الرسول صلى الله عليه وسلم فى وقار النبوة.. وفى بسمة عريضـــة لا تستطيع أن تعرف منبعها حــق المعرفة ، فهى صفاء وتواضـــع وكبرياء . واباء . ورحمة وهى نور ليس له آخر .. جاء صلى الله عليه وســلم الى منزل أبى بكر فملكها ــ تزوجها .

***

كان لهذه الزيجة أهمية خاصة عند رســول الله صلى الله عليه وسلم .

كانت الدعوة فى بدايتها .. ان الآصرة التى ارتبط بها بعائشة قد وثقت العرى بالكثير من قبيلتها ســواء

لأبيها أو لأمها . فهو بذلك يقوى شوكة الاسلام ويوسع قاعدته .

ثم هى ابنة صاحبه وخليله الذى صدقه حين كذبه الناس ، وأعانه حين حجب الناس عنه معونتهم .

ثم ما لها من شرف وسؤدد من ناحية الأب والأم .

ليلة العرس :

كان الزواج قد عقد فى مكة منذ ثلاث سنوات ، ولما كانت الهجرة قد شغلت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه ، لم يكن من اللائق أن يفاتحه الصديق فى أمر اتمام الزواج من السيدة عائشة رضى الله عنها ، وأبو بكر رجل حيى ، مرهف الشعور ، غير اندماجه العميق فى أحداث الهجرة العجيبة ويوم أن شعر أن الموقف يحتمل الحديث فى الأمر ، تحدث .

وكان المهاجرون قد استقروا فى مقامهم مع الانصار

وكان الصـــديق رضى الله عنه يقيم فى بنى الحارس بن الخزرج ، وعندما فاتح السول ىى أمر عائشة استجاب صلى الله عليه وسلم ، وقرر أن يسير الى بيت الصديق ، وأقيم العرس فور أن دخل صلى الله عليه وسلم ، وطلب أن يدخل بعائشة • فقامت أم رومان زوج الصـــديق ، رضى الله عنهما ، وذهبت وعادت بالســيدة عائشـــة ثم أدخلتها • وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس على سرير فى ركن من الحجرة ، فأجلستها أمها فى حجره وقالت : هؤلاء أهلك فبارك الله لكفيهن ، وباركلهن فيــك •

وكان حـــديث أم رومان هو ذلك المدفع الذى ينطلق فى أفراحنا ، فقام القوم من المهاجرين والأنصار ، وثبا وطربــا ، وانتقلت الى بيت الرســول ، فى تلك الحجرات المتواضعـــة التى بقيت حول مسجده ، وفى حجرة منها ، بنى بها الرســول ، ولم يذبح لها جزور أو شاه على عـــادة الأعراس منها فى ذلك الوقت •• وكان عشائهما جفنة كان يرســـل بها سعد بن عبـــادة الى رســـول الله صلى الله عليه وسلم ، وحمل اليهما

بعض القوم شيئا من لبن ، ولم يكن عجبا أن يدخل سيد البشر صلى الله عليه وسلم بابنة الصديق • ثانى رجل فى الأمة الاسلامية بعده — فى تلك الحجرة المتواضعة جدا ، المبنية بالطوب اللبن وسعف النخيل، وأستار الخيش ولم يكن عجيبا أن يكون جهازها الذى تنام عليه فراشا من أدم محشوة باللوف وبعض الحصير الذى يتوسد الأرض فى صمت •

دخل الرسول صلى الله عليه وسلم بعائشة وهى فى التاسعة « هذه رواية » ، ورواية أخرى تقول : انه بنى بها (دخل) وهى فى الثانية عشرة •

وأنا أميل الى الرواية الثانية •• أن بنى بها الرسول وهى فى الثانية عشرة من عمرها • حيث تأخذ ملامح النضج الأنثوى طريقها الى الاكتمال •

ولثقتى فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم دائما فى نظرته للأمور ، ينظر لها من منظار واع مدقق ، لا يستميله الهوى الى حد الدخول بالسيدة عائشة وهى لم تكتمل أنوثتها بعد • وأرى انه أيا كان عمر

السيدة عائشة فان دخول الرسول بها لم يتم الا بعد أن صارت أنثى بكل المقاييس المتعارف عليهـا فى صلاحها للزواج .

حب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

سئل صلى الله عليه وسلم : أى الناس أحب اليك يا رسول الله ؟

قـال : عائشـة .

نعم أحبها الرسول حبا شديدا جما .. حبا مختلفا، لا تعرف له حدا أو ملامح معينة .. أهو حب الوالد لابنته .. ؟ كان صلى الله عليه وسلم فى الخمسين من عمره حين بنى بها .. وكانت هى فى الثانية عشرة ـ على أرجح الروايات ـ فارق السن هـذا يجعلك تشعر بشىء يخـالط نفسك . اذن لا تخلو هذه العلاقة من وصـل الحب بين الوالد وابنته بالقيـاس على هـذا

الفارق ، وان شئت قل هو حب الوالد لابنته ، حظـه أكبر ، بما لأبى بكر فى نفسه من مكانة الأخ والصديق والرفيق فى طريق الكفاح حقا .

وان شئت قل هو حظ الزوجية من الحب العميق الذى يتدفق من جنب نبى كريم .. اختار له الله كمال البشرية فى سلوكه وفى احساسه بالوجود من حوله ، فهو حب لا تجده عند الكثير من عباد الله وان الفيته أو وجدته فهو قاصر عن الارتفاع الى ذلك الحب الذى يمنحه سيد البشر صلى الله عليه وسلم لزوجة أكدت فى أكثر من مناسبة أنه يحبها حبا مختلفا كبيرا .

وأهمية هذا المشهد الذى تكرر حدوثه ، والرسول صلى الله عليه وسلم لا يتحرج فى أن يتيح لها ما كان يتاح لها فى منز أبيها بل أكثر ان لم يكن بى مبالغة .

كانت السيدة عائشة كمـــا قدمنا حديثة السن ، حينما خطبها الرســـول صلوات الله عليه وسلامه ، أتوا بها من بين اللعب واللهو . وظلت تمارس هـــذا اللعب بالبنـــات ــ اللعب ــ فى منزل الرســـول وكـــانت صويحباتها يأتينهـــا سعيا فكان ينقمعن ويتحرجن من

رسول الله ، وينتظرن خروجه حتى يستطعن أن يمارسن اللعب مع الصغيرة عائشة بغير وجل أو حرج ، وكان صلى الله عليه وسلم ، حين يشعر بقدومهن يخرج اليهن فيسر بهن الواحدة تلو الأخرى ، فيدخلن اليها ويلعبن معها .

كان صلى الله عليه وسلم يحاول قدر جهده ألا يحرمها من بقايا طفولة كانت ما تزال تتعلق بحبائلها يا لك من رسول الله حقا ، اذ يدخل عليها وهى تلعب بيناتها تلك باشا هاشا .. قائلا بابتسامة تنفرج عن أساريره ويتبعها ضحك وديع صاف كالصبح المنير : ما هذا يا عائشة ؟

فترد عليه فى سذاجة الطفولة .. ودلال الزوجة الحديثة العهد :

ـ خيل سليمان ولها أجنحة .

وهنا يضحك .. يضحك صلى الله عليه وسلم ضحكة قوية من قلبه .. لو أردت أن تستيقن يقينا لا مراء فيه ، أنظر الى الحبيب صلى الله عليه وسلم وهو يحجب بردائه عائشة عن أعين لناس .

لقد أعجبت اعجابا شديدا بالقوم الذين أتوا من الحبشة يلعبون بحرابهم فى المسجد وهو منظر خلاب يأخذ بلب الكبار فما بالك بفتاة حديثة السن ؟

فلم يكن يحرمها صلى الله عليه وسلم من منظر بديع كهذا ، فكان يحجب عليها بردائه .

لقد كان يرتأى فى تمتعها بطفولتها التى أوشكت على الرحيل حقا لابد منه لها ، ولم يكن فى ضيق أو خجل أن تكون زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض ذلك الميل الى الاستمتاع بطور طفولتها .

زواج من السماء :

لو انك وثقت فى نبوة نبى ، ووثقت انه خاتم الأنبياء صاحب المواصفات الخاصة جدا ، وتأكد لك من كل ما جاء به من أدلة وبراهين ، لم تكن لنبى قط لو انك على يقين أكيد من هذا ، ترى ما أنت قائل

فى شأن زواج هو جزء من حياته المتكاملة التى تكفل الله به ، تمام الكفالة ، وأعد له مكانة لم ينلها انس ولا جان •• ولا ملك ولا خلق لا نعلمهم ، الله يعلمهم • «انك بأعيننا » « ولسوف يعطيك ربك فترضى» • ألم يجدك يتيما فآوى ووجدك ضالا فهدى ووجدك عائلا فأغنى •• ألم نشرح لك صدرك • ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك » •

كل هذه •• كل هذه العناية •• ترى لا تنسحب على أمر زواجه وهو أمر متعلق بتشريعات كثيرة ، وعلى أساسه بين الله أشياء فى الشريعة ، لم تكن تمضى الحياة الاجتماعية بغيرها •

نعم تدخلت السماء فى أمر زواج النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من مرة ، فالأولى حين رآها فى المنام ثلاث ليال •

قال صلى الله عليه وسلم فى رواية عن السيدة عائشة ، أريتك فى المنام ثلاث ليال : جاء بك الملك فى خرقة حرير ، فيقول هذه امرأتك ، فاكشف عن وجهك فاذا أنت فيه • فأقول:ان يك هذا من عند الله يمضه•

وأخرج فى هذا الترمذى عن عائشة : ان جبريل جاء بصورتها فى خرقة من حرير خضراء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال هذه زوجتك فى الدنيا والآخرة .

وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها تقول : أعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم ابنة عمران ، لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حتى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى .

لدينا الكثير والكثير فى هذا الشأن على أن زواج النبى صلى الله عليه وسلم من السيدة عائشة كان أمرا الهيا بكل ما تحمل الكلمة من معنى وحين أتعرض لحادثة الأفك ، أتناول هذا الموضوع بشىء من بعض التفصيل . ولا ريب أن الزواج كان زواجا غير عادى ، فله من أفضلية واضحة وله أبعاده الخطيرة فى الدعوة الاسلامية فيما بعد .

وسنرى أن السيدة عائشة استطاعت أن تكون خير مبلغ وراوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذى قال فى هذا الصدد :

خذوا نصف دينكم على هذه الحميراء ـ يقصد السيدة عائشة لشدة جمال وجهها وحمرته •

كان أمرا من الله سبحانه وتعالى كما ورد فى الأحاديث الصحيحة المتفق عليها •• وأكد هذا حديث الرسول صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب لما استشاره فى موضوع الأفك •

كان جواب عمر حاسما وقاطعا حين قال له : من زوجها لك يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : زوجنيها الله تعالى •

فقال عمر : أفتظن الله قد دلس عليك فيها •

حقا ما كان الله ليدلس على نبيه الكريم بزوجة •• وما أدراك وهو المصاب المكلوم من موت أحب الناس اليه •• زوجته السيدة خديجة وعمه الذى رباه أبو طالب •

ولست أشك فى أن هذه الزيجة بالذات كانت تصنع على عين الله سبحانه وتعالى بشكل خاص •• تهيئة للمستقبل الذى ينتظر الدعوة ومعدلات نموها فى الاتجاه الاجتماعى والفكرى •

الهجرة وفراق الى حين :

كانت الأزمة تشتد حول المسلمين ، فتصطنعها قريش اصطناعا ، وتقيم الأسوار حول النبي صلى الله عليه وسلم ومن دخل في دينه ، وكان أئمة الكفر في حالة من الهياج الشديد . وفقدان الأعصاب وكلما علموا أن واحدا من أعداء الاسلام قد أعلن اسلامه . شعروا بالخطر الحقيقي يحاصرهم ، وينخر في أعمدة عروشهم واجتمع أشراف قريش في دار الندوة . وهي دار قصي بن كلاب وكان يقضي فيها في أمور قريش وحضر من بني عبد شمس : عتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب . ومن بني نوفل عبد مناف : طعيمة بن عدي ، وجبير بن مطعم والحارث بن عامر بن نوفل ومن بني عبد الدار بن قصي : النضر ابن الحارث بن كلده ومن بني آسد بن عبد العزى أبو البختري بن هشام وزمعة بن الأسود بن المطلب وحكيم بن حزام . ومن بني مخزوم : أبو جهل بن هشام

ومن بنى سهم : نبيه ومنبه ابنا الحجاج • ومن بنى جمع : آمية بن خلف •• وغيرهم كثير •

ويبدو باستعراض هذه الاسماء • مدى فداحة الموقف بالنسبة لزعماء قريش • وكان الشعور طبيعيا تجاه دعوة محمد صلى الله عليه وسلم وهى تنتشر بقوة وتنتصر يوما بعد يوم • واشتعل الاحساس بالخوف مكاسبهم من الجاه والسلطان الى تأمين تجارتهم السنوية والتى كانت تمر عن طريق يثرب • وأرهصت بيعة العقبة الثانية بذلك التهديد الشديد لمصالح قريش عند اليثربيين • فلما كانت البيعة • خرج القريشيون الى الخزرج وهم بمكة بعتاب شديد على بيعتهم وحلفوا جهد ايمانهم أن هذا لم يحدث • وتذرع المؤمنون منهم بالصمت حتى استبانت قريش الموقف فطفقوا فى أعقاب اليثربيين من الخزرج الذين ارتحلوا قاصدين أرضهم • ولم يلحقوا الا بسعد بن عبادة • فأخذوه أسيرا وردوه الى مكة • وفعلوا به فعلا شنيعا من التعذيب والاهانة • ولم ينقذه من أيديهم الا جبير بن المطعم بن عدى والحارث بن أمية •• فقد

أجاراه كما كان يجيرهما من قبل أثناء مرورهما بتجارتهما من خلال يثرب الى الشام •

كل هذا دعانا لنرى الحرب الشعواء التى توجت ثلاث عشرة سنة من كفــاح النبى منــذ بدأ دعوته لله عز وجل • وكاد الأمر يفلت من أيدى هؤلاء الزعمــاء الذين ذكرتهم لك بالاسم • لولا أن تداركهم ابليس • وقد استخفى فى هيئة رجل من نجد وقد حاول المفسرون والمفكرون أن يشرحوا هذا التنكر النجدى لابليس •• فقالوا : ان النبى صلى الله عليه وسلم قيل له : وفى نجد يا رسول الله ؟ قال : هنالك الزلازل والفتن • ومنهــا يطلع قرن الشيطان فلم يبــارك عليها كمــا بارك على اليمن والشام وغيرها •• وأيا كان فان ابليس قد تنكر فى هيئة شيخ عليه بتلة (ثياب ثقيلة) • وبدأت المشاوات وقال قائل منهم : ان هـــذا الرجل قد كان من أمره ما رأيتم •• فانا والله ما نأمنه على الوثوب علينا فيمن قد اتبعه من غيرنا •• فأجمعوا فيه رأيا • ثم قال لآخر : فتشاوروا ثم آخر : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه بابا ثم تربصــوا به ما أصاب اشباهه من الشــعراء

الذين كانوا قبله زهيرا والنابغة ومن مضى منهم من هذا الموت ، حتى يصيبه ما أصابهم فقال الشيخ النجدى .. الشيطان .. لا والله ما هذا لكم برأى .. والله لئن حبستموه كما تقولون ليخرجن أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه الى أصحابه ، فلأوشكوا به ، يثبوا عليكم فينتزعون من أيديكم ، ثم يكاثروكم به ، حتى يغلبوكم على أمركم ، ما هذا لكم برأى ، فأنظروا فى غيره ، ثم حمى التشاور . فقال رجل منهم : نخرجه من بين أظهرنا ، فننفيه من بلادنا ، فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع .. اذا غاب عنا وفرغنا منه . فأصلحنا أمرنا وألفتنا كما كانت فقال الشيخ النجدى ، لا والله ما هذا برأى ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال بما يأتى به ، والله لو فعلتم ذلك ما أمنتم أن يحل على حى من العرب ، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه ثم يسير بهم اليكم حتى يطأكم بهم فى بلادكم ويأخذ أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أراد قولوا رأيا غير هذا ، فقال أبو جهل والله ان لى فيه لرأيا ما أراكم

وفعتم عليه من بعــد : قالوا ما هو ؟ قال : أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شابا جليدا وسيطا نسيبا فينا ، نعطى كل فتى منهم سيفا صارما ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه . فانهم اذا فعلوا ذلك تفرق دمه فى القبــائل جميعــا فلم يقــدر بنو عبد منــاف على حرب قومهم جميعــا فرضوا منــا بالعقل . فعقلناه لهم . فقال الشيخ النجدى الشيطان القول ما قال الرجل .. هــذا الرآى الذى لا أرى غيره فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له . هــذا ما قاله ابن اسحق علي وجه الدقة . وترى المكيدة وقد اتخذت حبكة لا يخر منها المــاء . وترى من الشيطان فيها قائدا قد أعمل كل مؤثراته وأسلحته ليقتنعوا بهذا الرأى . وليراوده الأمل فى القضاء على دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

المهم ان المؤامرة قد دبرت . وعلى الجانب الآخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلقى توجيهات الله عز وجل . فينزل جبريل ويخبر النبى بأحداث دار الندوة ويطلعه على القرار الالهى بالهجرة وكان التوقيت تحديا

لقوى الشرك وهى تسعى بكل عزم للقضاء على الدعوة الاسلامية فى شخص الرســول صلى الله عليه وسلم ٠

ولم يبت النبى فى فراشــه حسب التعليمــات الربانية واستخلف فيه على بن أبى طــالب ، ليوهم المشركين بذلك حتى ينتهى من اجراءات الهجرة وحتى يعد العدة على أتم وجه ٠

ووقف أبو جهل بباب النبى ، يشن هجوما عنيفا من السب والقذف فى شخص الرســول الكريم وأخذ يردد ان محمدا يزعم انكم ان تابعتموه على أمره كنتم ملوك العرب والعجم ٠ ثم بعثتم من بعد موتكم فجعلت لكم جنان كجنان الأردن ٠ وان لم تفعلوا كان لكم فيكم ذبح ، ثم بعثتم من بعد موتكم ثم جعلت لكم نار تحرقون فيها ٠

وفى هــذه اللحظــة خرج عليهم رســول الله صلى الله عليه وسلم ٠ وبحفنة من تراب أخذ ينثرها على وجوههم قائلا أنا أقول ذلك ٠ أنت أحدهم ـ لأبى جهل ـ وراح يتلو قول الله تعــالى « يس والقرآن الحكيم ٠

انك لمن المرسلين على صراط مستقيم • تنزيل العزيز الرحيم • لتنذر قوما ما أنذر أباؤهم فهم غافلون لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون • انا جعلنا فى أعناقهم اغلالا فهى الى الاذقان فهم مقمحون • وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون » (يس) •

وحقت كلمات الله فأغشاهم فهم لا يبصرون • وخرج النبى صلى الله عليه وسلم • وفى اليوم السابق للخروج ، كانت الترتيبات التكتيكية للهجرة قد وضعت فى بيت أبى بكر ، فقد ذهب النبى اليه فى حر الهاجرة وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها فى فناء الدار فرحة بزيارة النبى فى هذا التوقيت وقام أبو بكر حين علم بقدوم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدرك انه أمر جلل •

وجلست السيد عائشة هى وأختها اسماء عن قرب يرقبن الموقف وقال الرسول فى هدوء : أخرج عنى من عندك •

ثم أردف ماذا جرى يا رسول الله ، ماذاك فداك أبى وأمى ؟

قال الرسول بصوت هامس لكن فيه جدة وحسم • قد أذن لى بالخروج والهجرة فهب الصديق مؤيدا : الصحبة يا رسول الله •• الصحبة يا رسول الله •• ولقد أراد الله أن ترى عائشة انطلاقة الحركة الاسلامية من بيت أبيها والخطة الكاملة للخروج والنجاة من برثن الكفر • وهى تشحذ للفتك بالدعوة وهى بعد جنين •

ومن الطريف أن الراحلتين اللتين حملتاهما الى يثرب كانتا قد أعدتا فى بيت أبى بكر • ولقد كان أبو بكر رضى الله عنه رجلا عجولا للخير متأهبا لأى موقف يدفع الاسلام الى الأمام فانه مرارا كان يستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم • فقال له الرسول • لا تجعل لعل الله يجد لك صاحبا ولقد أحس أبو بكر حينئذ ان النبى صلى الله عليه وسلم بالصحبة المباركة فابتاع الراحلتين وراح يعلفهما اعدادا للموعد المعلوم عند الله •

والسيدة عائشة روت فى ذلك رواية ولقد فسرت قدوم النبى فى توقيت غير التوقيت الذى تعودوا فيه وقالت « كان لا يخطىء رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتى بيت أبى بكر أحد طرفى النهار اما بكرة أو عشيا حتى اذا كان اليوم الذى أذن فيه الرســول صلى الله عليه وسلم فى الهجرة والخروج من مكة من بين ظهرى قومه . أتانا رســول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة فى ساعة كان لا يأتى فيها . قالت فلما رآه أبو بكر قال : ما [illegible] رسول الله صلى الله عليه وسلم هــذه الساعة الا لأمر حدث .

قالت : فلما دخل تأخر له أبو بكر عن سريره . فجلس رســول الله صلى الله عليه وسلم . وليس عند أبى بكر الا أنا وأختى اســماء بنت أبى بكر فقــال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما همــا ابنتاى . وماذاك ؟ فداك أبى وأمى فقال : ان الله قد أذن لى فى الخروج والهجرة فقال : أبو بكر .. الصحبة يا رسول الله .. قالت السيد عائشة .. فوالله ما شــعرت قط قبل ذلك اليوم ان أحدا يبكى من الفرح . حتى رأيت

أبا بكر يبكى يومئذ ثم قال : يا نبى الله • ان هاتين راحلتين •• قد كنت أعددتهما لهذا فاستأجر عبد الله بن أرقط ــ رجل من بنى الدائل بن بكر ، وكانت أمه امرأة من بنى سهم بن عمرو وكان مشركا يدلهما على الطريق فدفعا اليه راحلتيهما ، فكانتا عنده يرعاهمـا لميعـادهما •

ووقف النبى صلى الله عليه وسلم يودع زوجه التى لم يدخل عليها بعد ، وهو يلاطفها ثم توجه بنظرة الى الكعبـة وراح يطل على مكة من مكان مرتفع فى بيت أبى بكر • وهو يقول •• والله انك لا أحب أرض الله الى وانك لأحب أرض الله الى الله ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت •

ومضيا هو وصاحبه •• مضيا الى طريق طويل من معجزة الى معجزة كلها تؤذن بزوال دولة الكفر والظلام • واعلان بدولة الاسلام حتى قيام الساعة •

وتحركت الكتائب من أفراد بيت أبى بكـر •• عبد الله ينتشر بين النـاس ويغشى مجالسهم ويتسمع

ما يقولون فى شأن النبى وصاحبه وعمل كجهاز مخابرات قدير وهو بعد صبى غض .

أسماء تجهز الطعام وتقوم بابلاغ المعلومات التى جمعها عبد الله .

ومن خلفها يسير عامر بن فهيرة بالغنم يمحو آثار الأقدام من الطريق وعائشة تمكث فى البيت على أعصابها ترتقب عودة اسماء بأخبار النبى وأبى بكر حتى عادت اسماء ذات يوم تحمل أخطر نبأ فى تاريخ الاسلام بأن زوجك نبى الأمة يا عائشة .. انجاه الله من المشركين بخيط العنكبوت وبالحمامة الراقدة فى مدخل الغار .

ونجحت الخطة وقام كل بدوره على أكمل وجه ورغم تفاصيل الأحداث الكثيرة الا أن رصد السيدة عائشة لهذا الحدث العظيم ووعيها بوقائعه مفصلة يدل على فطنتها الشديدة .. وذكائها الخارق وألا ترى معى أنها كانت تشعر بهذا النصر حين التزمت البيت ..

منتظرة أخبار زوجها ولو كان فى قلبها ذرة شك فى اخفاق الهجرة أكانت تصبر على هذا ولو برهة من زمن .

وبقيت تنتظر اللقاء .. لقاء الحبيب فى يثرب .

زوج مثالى .. وحياة ثرية بالعواطف :

وأكاد أقطع باليقين .. بل أقطع ولا أتردد فى رسول الله صلى الله عليه وسلم . انه لم يكن للوهلة الأولى الزوج بمعناه المجرد بعيدا عن واقع جديد . أوجده صلوات ربى وسلامه عليه وهيأ حياة ثرية بالثقافة والعواطف الجياشة والمثالية التى نقلتها عنه السيدة عائشة . وذلك السلوك القويم الذى سلكته فى حبها لطلب العلم ورواية الحديث وحفظ الشعر .

وأما تلك العواطف الجياشة فهى متبادلة ، سيالة لا يكاد يمر موقف حتى يثبتها ويؤكدها تأكيدا .. لم يكن صلى الله عليه وسلم ذلك الزوج المستبد . وحاشا

لله أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم مستبدا . فقد أعطى زوجته الحرية فى حدود امكانات المرأة وما جلبت عليه من طبع يمر فى نسل حواء جميعا . لقد أحبت الرسول صلى الله عليه وسلم حبا جما فلم تكف عن غيرة تطلقها هنا فى موضع صحيح وفى موضع شك وفى آخر غير صحيح فهو ان غاب عن عينيها طغت تلك الغيرة على صدرها . واستبد بها قلق واضطراب عنيفان ودب فى قلبها توجس ومشغلة وكانت شديدة الغيرة فى ذلك ، تغير أشد غيرة عرفتها امرأة على زوجها .

لقد خرج ذات ليلة صلى الله عليه وسلم من عندها وكانت ليلتها فاذا هى تتبعه الى حيث يمضى مخافة ان يلم ببيت واحدة من زوجاته الآخريات وهى على هذا من الترقب والوعيد الذى يعتمل فى صدرها ان صدق ظنها وجدته قد ذهب الى مقابر الشهداء يصلى ويستغفر لهم .

فعادت الى بيتها تقول بأبى أنت وأمى يا رسول الله انت فى حاجة ربك وأنا فى حاجة الدنيا . ولكنها

لبثت مكلومة الصــدر مما خامرها من خاطرها الأول وسوء ظن برسول الله . فلما قفل عائدا صـلوات ربى وسلامه عليه . لاحظ ما بها فسألها ما بك يا عائشة ؟ .

فقالت : بأبى أنت وأمى يا رســول الله أتيت فوضعت ثوبيك ثم لم تستتم آن قمت فلبستها فأخذتنى غيرة شــديدة .. ظننت انك تأتى صويحبــاتى حتى رأيتك بالبقيع تصنع ما تصنع .

***

صراحة مطلقة .. ووعى يحكم الموقف .. ورؤيا تتضح بالحقيقة ومحمد رسول الله .. رءوف رحيم بالمؤمنين .. فما بالك بأهل بيته وما بالك بهذه الرحمة التى تنبعث من قلبه الى التى اختارها الله له . وأراه اياها فى المنام .. فحق عليه زواج منها .

هو حب جارف متدفق موصول بالسماء . يتحكم فى انفعــالاته عقل نبى كريم يتلو آيــات الله . ويعلم الحكمة ويحكم بين الناس بالعدل فما أحق للعدالة ان تقام أول ما تقام هنا فى بيت الزوجية فما أدراك بهذا العدل الذى فاق الخاطر وابتعد عن متناول الخيال .

- - هو يخرج مرة •• ومرات •• ويعود كعادته فى احداها وعـاد اليها •• فاذا هى فى مثل حالتها السالفة من القلق العنيف فقـال صلى الله عليه وسـلم لها : أغرت ؟

فقالت : وهل مثلى لا يغار على مثلك •

قـال : لقد جاءك شيطان •

موقف يتكرر •• وغيرة من أم المؤمنين • وانسانية لا تخفيها ، طبع لا تستطيع له سترا • ورسـول الله صلى الله عليه وسلم يرتفع •• الى قمـة المثالية فلا هو ضجر ضائق بتصرفات زوجه • ولا هو قاس عليها • بجراء دله عليه وحب متفجر قوى لا تتفنن السـيدة عائشة فى اخفائه • أو نفيه • ان هـذا الرد الرقيق الرفيق من الرسول الكريم لا يرتفع اليه بشر بسهولته وعذوبته وحسن موضعه • فاذا السيدة عائشة • نادمة على سـوء ظنها • واذا بالرسول الكريم يزيح عنهـا الأسى ويداعبهـا • بأن شيطانا جاءها فوسـوس فى صدرها • ووسوست بها نفسها•فاذا هى منطلقة أثره

تريد ضبطه متلبسا عند احدى صويحباتها فى ليلتها • ولكن الادانة ترتد الى صــدرها وتعيد اليها الثقــة ندما منها على موقفها الذى لا تحسد عليه أبدا ؛ واذا الغيرة التى أزاحها هذا الموقف من صــدرها لا تلبث حتى تعود من جديد فهى طبع • وهى حب ينمو ويربو ويشتمل كلما استمدت من نور رسول الله قبسا جديدا يوما بعد يوم •

انها تعترض اعتراضــا سافرا وصريحا على ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم ازوجتــه أم المؤمنين السيدة خديجة رضى الله عنها • وقالت : خديجة •• خديجة لكأنما ليس فى الأرض امرأة الا خديجة •

فهل ترى نهرها الرسول بحبه الشديد العميق للسيدة خديجة رضى الله عنها ؟ •• أو احتد عليهــا • واندفع فيها غضبا • مرغما اياها على الاذعان لحد الأدب فى مخاطبته وذكر سيرة السيدة الفاضلة السابقة الصالحــة فى الاسلام ؟

لم ينهرها ولا احتد عليهــا •• وما اندفع فيهــا

غضبا .. بل تركها فترة مظهرة شيئا من عدم الرضا ..
وبهذا عرفت معنى لم يكن لتدركه بالفطنة وحدها ففى
نفس النبى للسيدة خديجة منزلة سامية متصلة بأسباب
قوية جذورها متشبسة بوجدان النبى وتجرى فى عروقه
مجرى الدم فكيف .. كيف تندفع هى هذا الاندفاع .
وتجعـــل شئا من ضيق يقوم فى صــــدر الرسول
عليهـا . فلم تعاود ذلك أو حتى تلمح اليه من قريب
أو بعيد .

هـذه اذن الدروس التى كانت تتلقاها السـيدة
عائشة على النبى .. فى حلمه وهدوئه .. بغير تعقيد
أو لبث يصيب الأمور . فكانت التلميذة النجيبة الذكية
اللماحـة تستوعب الدرس بشكل ايجـابى . فتزداد
رفعة فى نفس النبى صلى الله عليه وسلم .

سلاح يحلق على هذه العلاقة . كلما اشتدت بها
ازمة . انفرجت عن انطلاق بها الى آفاق رحبة واسعة
من الحب والألفـة والمودة لقد كان النبى صـلى الله
عليه وسلم يداعبها أحيانا .. ولم تكن دعابة على مطلقها

ففيها شيء من الجد الذى يجعل للأمور مذاقا خاصا .
وهى فى نفس الوقت دروس وعبر لزوجته الحبيبة الى نفسه . البالغة من المكانة فى قلبه مبلغا وشأوا كبيرين عظيمين .. قال لها صلى الله عليه وسلم يوما : انى لأعلم اذا كنت عنى راضية واذا كنت عنى غضبى .

قالت : وكيف يا رسول الله ؟

قال : اذا كنت عنى راضية قلت لا ورب محمد.
واذا كنت على غضبى فقلت لا ورب ابراهيم .

قالت : أجل والله ما أهجر الا اسمك .

(هذا الحديث ثابت فى الصحيحين) .

انظر الى رد السيدة عائشة .. وهى تقول أجل والله ما أهجر الا اسمك انها لتبعث فى النفس شيئا من الخلاص لله سبحانه وتعالى . وفى نفس الوقت فهى الدعابة وهى الفطرة التى نشأت عليها السيدة عائشة رضى الله عنها . وهى السماحة التى ارتفعت بالبشرية الى عنان السماء من رسول رب العالمين اليهم جميعا.

منزلة فى قلب رسول الله :

لقد أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيدة عائشة حبا كبيرا متضاعف العاطفة قويها . حب فيه حنان أبوى متدفق فياض اذ كان رجلا فى الخمسين من عمره وعائشة لم تكن بلغت الرابعة عشرة بعد ، لقد كانت تصغر ابنته فاطمة بثمانى سنوات .. ومن ثم فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يرعى هذا رعاية خاصة . فمهد لها كيف تعيش مستمتعة بطفولتها كما يستمتع أترابها .. وحب آخر آثرها الرسول صلى الله عليه وسلم به هو حب زوج يعرف للزوجيه حقها ويصبح مثلا يحتذى به فى معاملة النساء طيلة قرون وقرون متى امتدت الحياة . يتمثل سلوكه الرفيع فى الرحمة والرأفة بزوجاته وعائشة بشكل خاص فيه فرادة وعمق شديد .

فلما سأله عمرو بن العاص قائلا : يا رسول الله .. أى الناس أحب اليك قال : صلى الله عليه وسلم عائشة .. قال فمن الرجال ، قال أبوها .

أرأيت الى حب ينطوى على غرضين يغذيانه ويخصبان جنباته • حب خالص لزوجته السيدة عائشة • وحب سامق لأبيها صاحبه فى طريق الكفاح لرفع لواء الاسلام •• ومجابهة الشرك وتحطيم الوثنية • حب حق لخليله الأثير (لو كنت متخذا خليلا من هذه الأمة لاتخذت أبا بكر) •

ثم اذا شئت أسهبت فيها معددا مآثر تجعلها واحدة متفردة بخصائص الايثار على من سواها متوهجة فى قلب الرسول الكريم بلى • هى عائشة التى اختارها الله له والتى نزل جبريل بصورتها • والتى برأتها السماء بقرآن كريم من ألسنة الأفاكين الطاعنين• ونزل أكثر من حكم فى محكم التنزيل بسببها « كأمر التيمم » •

أتراه ان عرف قدرها عند الله بهذا • فما يفيض حبالها كاسحا ، وهو الذى أتبع الذكر ونشره على الثقلين هدى ورحمة للعالمين ؟

وان كان بذلك وكفى لما بقى فى كيان رسول

الله صلى الله عليه وسلم ذرة الا أحبت السيدة عائشة بما حباها الله بمنزلة وكرامة عنده .

ثم هى .. هى عائشة البكر الجميلة والطفلة الحبيبة التى تفتحت براعمها فى مدرسة رسول الله صلى الله عليه وسلم أليست أهلا أن تكون أحب الناس لرسول الله .

وخذ من بشر بن الوليد عن السيدة عائشة تقول : لقد أعطيت تسعا ما أعطيتها امرأة بعد مريم بنت عمران. لقد نزل جبريل بصورتى فى راحته حتى آمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتزوجنى . ولقد تزوجنى بكرا ، وما تزوج بكرا غيرى . ولقد قبض ورأسه فى حجرى ، ولقد قبرته فى بيتى ، ولقد حفت الملائكة ببيتى . وان كان الوحى لينزل عليه وانى لمعه فى لحافه ، وانى لأبنة خليفته وصديقه . ولقد نزل عذرى من السماء ، ولقد خلقت طيبة عند طيب ، ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما .

اذن فهى بما أفاض الله عليه . أحب الناس الى

رسول الله • وهى تعلم هــذا علم اليقين • وتفخر به علانية • انها لمنزلة جديرة حقا الأن يفخر أى انسان بها • أو لعله اذا لم يكن لينالها فالأمنية خيال يحلق ، عله يلمس فى ذلك الخيــال بعض ما يبل به الصــدى • ويشبع السغب ويجيش بحب النبى صلى الله عليــه وســلم •

تحبه فتتحرى فعله فتفعله :

وحين تأكد لها ذلك الحب الذى يتدفق من وجدان رسول الله الى البشر أجمعين • لم تكن لتضــع هذا الحب فى غير موضــعه ، ولم تكن لتتخــذه فى عبث واستعلاء على تعاليم الرسالة التى جاء بها زوجها المرسل من الله والمكلف باقامة مجتمع اســلامى جديد • يقضى على العنصرية السائدة والظلم المنتشر والجهل المتفشى فى القلوب والعقول •

كانت تمتثل لأوامره اذن ، وتتحرى فعله فتفعله

كأدق ما يكون فعله ، وتزداد فى حب رسول الله تمسكا وتشرى مرضاته فى مرضاة الله . فأفاض الله عليها نورا لم يكن لغير السيدة عائشة من نساء النبى . وقد تزودت بخير زاد الا وهو التقوى كانت فى عبادتها وفى التماسها علم الفقه والعبادات كأعظم ما يكون عابد أو ملتمس للعلم من مدينة العلم (رسول الله صلى الله عليه وسلم) ضف اذن الى شخصيتها هذا البعد الذى ارتقى بها الى منزلة سامية فى نفوس الناس .. وبحب رسول الله للسيدة عائشة هذا الحب المستفيض الذى كان مزيجا من حب الأب لابنته والزوج لزوجته . وبالرحمة التى يسبغها نبى المسلمين على نساء أمته . بهذا الحب كان الناس لا يترددون فى حبهم الجارف للسيد عائشة فضلا عن حبهم لها فهى ابنة أبى بكر الصديق ثانى اثنين اذ هما فى الغار وخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم الأول . وهى أم المؤمنين .

كان الناس على حبهم هذا يتحرون بهداياهم يومها . تقربا الى مرضاة الرسول صلى الله عليه وسلم.

وهنا يقول حماد بن زيد عن هشام بن عروة عن أبيه عن السيدة عائشة قالت وكان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة .. فاجتمعن صواحبى (زوجات النبى) الى أم سلمة فقلن لها ان الناس يتحرون بهداياهم يوم عائشة ، وانا نريد الخير كما تريده عائشة فقولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم . يأمر الناس أن يهدوا له أينما كان ، فذكرت أم سلمة له ذلك فسكت فلم يرد عليها . فعادت الثانية فلم يرد عليها ، فلما كانت الثالثة قال : يا أم سلمة لا تؤذينى فى عائشة ، فانه والله ما نزل على الوحى وأنا فى لحاف امرأة منكن غيرها » .

أترى يمكن أن نأتى بدليل على هذه المكانة السابقة التى حظيت بها السيدة عائشة رضى الله عنها لدى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولدى الناس جميعا بأكثر من هذا ، ودعك من مكانتها بين البشر ، فهل تشك من أن مكانتها عند الله الا كبيرة جدا ،

وهذا فى رأيى ، كما ألمح رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رده على أم سلمة ، رأيى أن حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لها لهو حب مستمد فى مقامه الأول من موقف السماء ازاءها وعنايتها بقضايا زواجها ، وتبرئتها وتصديقها ، أليست جديرة الذن بحب رسول الله والبشر جميعا اذا كان هذا مكانها عند الله جل وعلي ؟

يتوسلن بفاطمة :

على أن نساء النبى لم ييأسن فى سؤاله أن يلغى هذه المعاملة الخاصة التى كان يرعى بها السيدة عائشة ، فدعون فاطمة الزهراء ابنة النبى صلى الله عليه وسلم الى هذا الأمر ، وأرسلنها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : ان نساءك ينشدنك العدل فى ابنة أبى بكر ، فقال صلي الله عليه وسلم : يا بنية

ألا تحبين ما أحب ؟ قالت بلى ، فقفلت وأخبرتهن ، فقلن : ارجعى اليه فأبت أن ترجع ، فأرسلن زينب بنت جحش ، فأغلظت وقالت ان نساءك ينشدنك الله العدل فى ابنة ابن أبى قحافة : فرفعت صوتها حتى تناولت عائشة وهى قاعدة فسبتها حتى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لينظر الى عائشة ترد على زينب حتى أسكتتها ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم الى زينب وقال : انها بنت أبى بكر .

ولقد قال صلى الله عليه وسلم فى فضلها على النساء فى حديث اسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن عبد الرحمن أنه سمع أنسا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام .

ويتوقفنى هذا التشبيه البليغ المعجز حقا ، فلقد استخدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقرب الى اذهان الناس هذه الفكرة التى قد تلتبس عليهم ، وتحدث فتنة بالغة التعقيد ، ويضع ميزانا لحبه

للسيدة عائشة ، ميزانا لا يظلم به سائر نسائه ، فالثريد أكلة محببة الى نفس العرب ، وهى لا تمنع فى ذات الوقت ان من جاورها من الأطعمة له مذاقه الخاص لم يفقده ، وبذلك بقيت العلاقة الأخرى بزوجاته على عهدها لم ينقص من قدرها ، ميله الواضح الى السيدة عائشة ، وقد يكفى مباركة السماء لهذه الخصوصية التى اختص بها الرسول صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة •

وفى حديث عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن عائشة قالت : قلت يا رسول الله من أزواجك فى الجنة؟؟ قال : « اما أنك منهن » قالت : فخيل الى لأنه لم يتزوج بكرا غيرى •

وهذا الحديث يؤكد رضاء الله عن السيدة عائشة أن تتزوج الرسول بأمره تعالى فى الدنيا وتبشر بزواجها منه فى الجنة ولم تبشر غيرها من النساء بذلك •

وكان يمكن لها بما اكتسبت من رقى فى المنزلة لدى الله ورسوله ، أن تتخذها فى غير موضعها ،

أو تسد نقصا كانت تشعر به يحاصر الانسان فى داخلها حيث أنها لم ترزق ولدا ولكن السيدة عائشة وقد تطبعت بخلق النبى صلى الله عليه وسلم وترسمت هديه وتشبعت به تشبعا جعلها فى مرتبة المتقين الأولى ..

والباب مفتوح على مصراعيه ، فهى واحدة من أزواج كثيرات للنبى ، وهى بالطبع الانسانى لها الحمية والاعتزاز بنفسها ، كسائر نساء الأرض ، ولكنها لم تكن تزج بهذه الفضائل والمنازل التى بلغتها عند الله ورسوله فى علاقتها بالناس عامة وبصويحباتها من نساء النبى خاصة ، وبهذا ترفعت وارتفعت وطهرت نفسها من شوائب وأدران الرذيلة فى الحياة ، لقد دعا الرسول صلى الله عليه وسلم لها دعاء قد اشتمل من بلاغة وايجاز ما لم يشتمله دعاء عبد لربه . قال موسى وهو الجهنى عن أبى بكر بن حفص عن عائشة أنه جاءت أمها وأبوها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : انا نحب أن تدعو لعائشة ونحن نسمع ، فقال صلى الله عليه وسلم : اللهم أغفر لعائشة بنت أبى بكر

الصديق مغفرة واجبة ظاهرة باطنـــة » فأعجب أبواها
وقال شعيب عن الزهرى حدثنى أبو سلمة عن عائشة ،
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشـــة هــذا
جبريل وهو يقرأ عليك الســـــلام .. فردت وعليـــه
السلام ورحمة الله ترى ما لا نرى يا رسول الله .

وفى مسند أحمد عن سفيان عن مجالد بن سعيد
الهمزانى عن الشعبى عن أبى سلمة عن عائشة قالت :
رأيتك يا رســـول الله وانت قائم تكلم دحية الكلبى
فقال : وقد رأيتيه ؟ قالت : نعم ، قال : فانه جبريل
يقرئك السلام ، قالت : وعليه الســـلام ورحمـــة الله
وبركاته جزاه الله من زائر ودخيـــل ــ ضيف ــ فنعم
الصاحب ونعم الدخيل ، وبذلك ترقى السيدة عائشـــة
الى منزلة السيدة خديجة تلك المنزلة الخـــالدة فى نفس
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد أذكاها جبريل
السلام من قبل وبلغ الرســـول صلى الله عليه وســـلم
السلام لها بنفس طريقته .

أترى مع ما ســـقت لك من وقـــائع ، أكـــدت

خصوصية المنزلة للسيدة عائشة أتراك أنت متوجس يعتمل فى صدرك شيء تجاه فضل هذه السيدة الكريمة ، ومكانها العالى الكبير عند الله ورسوله ، والمؤمنين والملائكة وأذكر اذا نسيت ، ذلك التأييد القرآنى الذى تشعره وكأنه يتتبع أحداث تحيط بشخصية معينة ،نعم لم تكن شخصية محورية كشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكنها استأثرت بعناية القرآن استئثارا لم تحزه سيدة مثلها فى عصرها ، وما أدرى أى امرأة حازت على هذه المنقبة لمشرفة ، الا وكانت على خلق ودين وتقوى وهدى عظيم كالتى كانت عليه السيدة العظيمة أم المؤمنين عائشة .

انه حين نزلت رخصة التيمم من أجلها قال أبو بكر الصديق لها : والله ما علمت يا بنية أنك لمباركة. ما جعل الله للمسلمين فى حبك اياهم من البركة واليسر.

وهكذا أحب الرسول عائشة .. تربت فى بيته وتأدبت بأدبه الالهى أدبنى ربى فأحسن تأديبى .. وترسمت هديه وخطاه .. وهى على هذه الحال تتجلى عبقريتها فى الالمام بتعاليم الدين الحنيف وتفسير

القرآن الكريم ، وان كان هـذا التعمق فى شئون الدين لم يكفها عن روايتها للشعر الذى كلفت به وأحبته أيما حب

الصديقة فى أحد :

كانت رضى الله عنها تتميز بشجاعة نادرة ، وانجلى الأمر عن موقف هائل القدر عظيم ، ففى غزوة أحد ، وبعد أن حمل المشركون على جيش المسلمين والمعركة فى سبيلها الى حسم بهزيمة المسلمين ، كانت السيدة عائشة ومعها أم سلمة وهما مشمرتان فى جد كانتا تنقلان القرب على متونهما ، تفرغان الماء فوق أفواه القوم ثم ترجعان فتملآنها بالماء ثانية ، وتجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم .

هذا الموقف يحتاج الى كثير من التأمل ، وسط موقف متأزم ، وسهام تتطاير وسيوف تبطش وحدق تحمر ودماء تنفجر ، وحراب تتساقط فى الأجساد

كالقدر ، وعلى ذلك وهى تضمد جراح المصابين وتروى غلة الظامئين ، وتعين المتعبين فانها لم تنس أن تصور المشهد بدقة متناهية ، وتضىء فوق أحداث المعركة ؛ لنراها نحن هنا بعد ما يقرب من أربعةعشرقرناونصف، فتقول:لما كان يوم أحدهزم المشركون هزيمة بينة . فصاح ابليس:أى عباد الله أخراكم ـ أى احترزوا من ورائكم فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم فبصر حذيفة فاذا باليمان أبيه ، فقال : أى عباد الله أبى !! قالت : فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه . فقال : يغفر الله لكم . وقد روت عن أبى بكر موقف طلحة المشرف لما انصرف الناس عن النبى ، فكان أبو بكر أول من فاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وكان بين يديه رجل يحميه : فقال أبو بكر كن طلحة فداك أبى وأمى ، فلم ينشب ان أدراكه أبو عبيدة بن الجراح واذا هو يشتد كالطير لحقه ، فدفعهم الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال : النبى صلى الله عليه وسلم : دونكم أخاكم فقد أوجب وقالت السيدة عائشة رضى الله عنها كان أبو بكر اذا ذكر يوم أحد قال ذاك يوم كله لطلحة .

عائشة .. والتحريم

انها قضيـــة خطيرة ، خاض فيها من خاض . وأوغل من أوغل آملا فى النيل من الاسلام فى شخص نبيه صلى الله عليه وسلم ، وكانت السيدة عائشة رضى الله عنها ، طرفـا رئيسيا فى الموضوع ، وقد ذكرنا من قبل هذه الغيرة الشديدة التى استبدت بأمهات المؤمنين على رسول الله وبأم المؤمنين عائشة على وجه الخصوص . فقد بالغت فى الغيرة وارتكبت بعض الحماقـات التى أكدت المرأة فى أعمـاق أعماقها ، ولقد كان حـديث المغافير مدخـلا لهـذا الصراع الخفى الذى يدور بين أزواج النبى . محاولة فردية ، وأحيانا ثنائية للاستئثار به ، ومن قبل حـديث المغافير ، المؤامرة التى أعقبت مولد ابراهيم للنبى من السيدة مارية القبطيـة . وقد نلقى بعض الظلال على هذه الأحداث ، لنرى موقف السيدة عائشة الذى لم يختلف عن موقف امرأة تغار غيرتها وتريد أن تستأثر لنفسها بزوجها دون سائر أزواجه ، حتى لو استعانت فى ذلك ببعض أزواجه .

فبعد أن ماتت السيدة زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رزقه الله ابنه ابراهيم من السيدة مارية القبطية ، وكلنا يعلم أن المقوقس عظيم القبط ، قد أهداها الى النبى مع أخت لها تدعى سيرين،فعاملها النبى معاملة حسنة وظلت فى مرتبة السرارى ، لم يكن لها حجرة مع زوجات النبى ، وقد اتخذ لها منزلا بضاحية من ضواحى المدينة ، يقال لمحلها مشربة أم ابراهيم ، وكان يختلف اليها ، كلما أرادا ذلك ، أما سيرين فقد أهداها الى حسان بن ثابت ، ولم تلد واحدة من نساء النبى بعد السيدة خديجة رضى الله عنها الا مارية القبطية ، وابتهج صلى الله عليه وسلم بابراهيم ابتهاجا قويا ، وفاضت نفسه بشرا .

وذات يوم حمل ابراهيم الى السيدة عائشة وذكر لها بشىء من سرور ما بينه وبين ابراهيم من شبه فكان رد السيدة عائشة جافا ، وكأنها تنكر هذا الشبه ، وتقول : لا أرى بينكما هذا الشبه .

وتستمر السيدة عائشة فى موقفها « النسائى » فتشارك نساءه مطالبته بالنفقة والالحاح عليه ، فينزل

قول الله تعـــالى « يا أيها النبى قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا • وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فان الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما » • (الأحزاب : ٢٨ ــ ٢٩) •

وحين كانت السيدة عائشة تراه صلى الله عليــه وسلم يقضى وقتا أطول حين يختلف عند صويحباتها ، كانت تمتلىء غيرة ، كما كانت تملىء صويحباتها بهذه الغيرة •

ويوما صلى رســـول الله العصر ، واختلف الى حفصة او الى زينب بنت جحش ، على حسب الروايات، والأكثر انـــه اختلف الى زينب بنت جحش ، فاحتبس عندها طويلا ، فدبت الغيرة فى صـــدر السيد عائشـــة ، أيضا وقعت الغيرة فى نفوس صاحباتها وتواطأت رضى الله عنها مع السيدة حفصة بنت عمر بن الخطاب واتفقتا على أن يتظاهرا بالتبرم من رائحة غريبة اذا دخل على احداهما النبى صلى الله عليه وسلم ، واتفقتا على رائحة

المغافير ، وهى ذات طعم حلو ورائحــة كريهــة ، فدخل صلى الله عليه وسلم على احداهمــا فقالت له ذلك . فقال صلى الله عليه وسلم : بل شربت عسلا عند زينب بنت جحش ولن أعود له .

وكانت السيدة عائشة قد تآمرت أيضا مع السيدة سودة ، التى قالت : ان النبى حين دنــا منها قالت له : أكلت مغافير ؟؟ قال : لا . قالت فما هذه الريح ؟ قال: سقتنى حفصــة شربة من عسل . قالت أجرست نحله العرفط (أى رشفت النحل من شجر العرفط الذى من تناجه المغافير) . ثم اذا هو يدخل عند السيدة عائشة فيجد نفس السؤال ، ولمــا زار السيدة صفية وجد لديها ما عند صاحبتيها ، فقرر صلى الله عليه وسلم تحريم العسل على نفسه . ويبدو أن السيدة سودة قد انفعلت بالأمر فقالت : والله حرمناه . وكأن الغيرة قد تمكنت من السيدة عائشة بشكل قوى عنيف ، فنظرت لها نظرة تحمل معانى الحزم ، وقالت لها : اسكتى .

ثم جرت الأحداث الى موضع الشبهة التى بغير ايضاح، وتفسير منطقى ، تشوه صورة نبى الاسلام بلا جدال ،

وحديث التحريم الذى يتعدى مجرد تحريم نوع من طعام هو قطعا أكبر من شكليات فى مضمون الحياة الكبير فان علاقة النبى بمارية القبطية ، علاقة شرعية لا شبهة فيها ، لم تكن محرمة ، ولم تكن لتسىء لنبينا على الاطلاق .

فقد وقع يوما إن كانت السيدة حفصة فى زيارة عمر بن الخطاب ، وحين هى فى بيت أبيها زارت مارية القبطية رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت حفصة ، ومكث معها فترة طويلة ؛ ولما عادت السيدة حفصة أخذت تنتظر خروج من مع رسول الله ، وهى عند دخولها عليهما تأكدت أنها مارية القبطية وخرجت مارية القبطية بعد طول انتظار فدخلت حفصة وبدا عليها غضب شديد وقالت فى حدة : « رأيت من كان عندك ، والله لقد سببتنى وما كنت لتصنعها لولا هوانى عليك » ولما كان النبى يعلم ما عليه النساء من طبيعة خشى أن تذيع حفصة الأمر فتثير بلبلة بغير داع ، وهو أمر قد يلتبس على محدودى الفهم وضيقى الأفق فان طلب النبى الى حفصة بأن تكتم ما رأت لم يكن الا حفاظا

على المودة القائمة بين زوجاته ، وتحجيما للغيرة التى تشيع بينهن بغير حدود .

وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يطيب خاطرها : « فحلف لها أن مارية القبطية حرام » اذا هى لم تذكر مما رأت شيئا . وتم الاتفاق على ذلك ووعدت به حفصة ولكنها لم تصن السر وأسرت به لعائشة وراحتا هي وعائشة تثيران بقية أزواجه . ولما وصل الأمر الى حد غير لائق ، هجر النبى أزواجه وبقى شهرا كاملا لا يتكلم مع أحد فى شأنهن وانتشر بين الناس أن النبى قد طلق زوجاته ، وكان يبيت فى هذه الفترة فى خزانة له ذات مشربة يحرس عتبتها غلامه رباح .

وحزن المؤمنون لهذا أشد الحزن وجاء السيد عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى النبى فى خزانته ولم يأذن له فى الدخول الا بعد أن صاح عمر بغلامه رباح قائلا : يا رباح استأذن لى عندك على رسول الله ، فانى أظنه ظن انى جئت من أجل حفصة والله لئن أمرنى بضرب عنقها لضربت عنقها وأذن النبى لعمر فبكا بين

يديه فقال له النبى : ما يبكيك يا عمر ؟ فقال أبكانى ذلك الحصير الذى رأيتك تضطجع عليه يا رسول الله ، وتلك الخزانة التى ليس فيها الا قبضة من شعير ومثلها من قرظ وجلد معلق .

وأخذ عمر يسرى عن النبى وهو يحاول أن يعرف الحقيقة ان كان قد طلق آزواجه بالفعل ، فقال يارسول الله : ان كنت طلقتهن فان الله معك وملائكته وجبريل وميكائيل وأنا وأبو بكر والمؤمنون معك .

وابتسم النبى ، وحين ذكر له عمر بن الخطاب حديث الناس حول طلاقه لأزواجه نفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك فانطلق عمر واذاع على الملأ عدم صحة شائعة طلاق النبى لزوجاته .

والله سبحانه وتعالى لا يترك المؤمنين أبدا فى حيرتهم ، ولا يدع نبيه لفتنة فوق طاقته فقد نزل القرآن معاتبا شارحا أبعاد القضية .

بسم الله الرحمن الرحيم : « يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك تبتغى مرضاة أزواجك والله غفور

رحيم • قد فرض الله لكم تحلة ايمانكم والله مولاكم وهو العليم الحكيم واذ أسر النبى الى بعض أزواجه حديثا فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من أنبأك هذا قال نبأنى العليم الخبير • ان تتوبا الى الله فقد صغت قلوبكما وان تظاهرا عليه فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير • عسى ربه ان طلقكن ان يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكارا » • (التحريم : ١ ــ ٥) •

ولعلك تلمح دور السيدة عائشة وراء مسرح الأحداث ولعلك لا تتجن عليها معى اذا أعرضت عن فعلها هذا اعراض المتبرم لغاضب لرسول الله فما تصل الغيرة على حبيب الى ذلك الحد المروع والذى يبعث الفتنة من رقادها ويؤجج النار فيها •

ولك أن تلمس العذر لها كما ألمسه أنا ، فهى طبيعة المرأة أو خلود المرأة فى تكوينها ولكن ربما تكشف

هذه المحن فى النهـاية عن معدنها الطـاهر ونقائهـا ربما كان ذلك حين تصفى الأحـداث وستقبل النتائج راضيا مطمئنا بعد التوبة •

الأفـــك

حديث أهتزت له أركان الأرض وانتظر أهلوها المدد من السماء حتى تقال العثرة وتنجلى الكربةشائعة هى ولم تكن من الصـدق فى شىء الا أن الالتبـاس وقع وتسرب الشـك المؤلم الى بعض الصـدور التى استعصى النور عليها لقد انتقصت كثيرا من بعضالذين توسـم الخير فيهم فلم تكن الا كشـفا لنوايا خبيثة تربصت بالاسلام والمسلمين الدوائر •

لو تسألنى عن خلق السيدة عائشة أقول قدمت لك ما يغنى عن السؤال ويجعلك تمتثللماوهبالله لها من عقل راجح وحس مرهف ومنزلة رفيعـة لا يرتقى اليها بشر الا بأمر الله سبحانه وتعالى •

لو تسأل عن الذين أسلموا ولم يؤمنوا ولما يدخل الايمان فى قلوبهم أقول : حقا وصدق الله العظيم اذ قال فيهم « قالت الاعراب أمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم » •

وهل كان الاسلام فى سنة ست من الهجرة حين أشيع ذلك الحديث المفترى قد اكتملت له الأركان وثبت فى الأرض ثباتا شديدا حتى لم يعد يقدر على خلخلته أحد أظن أن أولى الألباب يدركون جيدا انه قبل نزول الآية الفاصلة فى هذه القضية « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » لم يكن الاسلام قد وصل الى هذا الحد الذى معه تتجه الأمة الى بناء الهيكل الاجتماعى والسياسى والفكرى لها ، أى أن الدولة الاسلامية بكل معناها كانت لا تزال تحت التكوين وفى أطوار النمو التى تتطلب حشد الطاقات بشكل معين لاكتمال هذا النمو •

وكانت الظروف المحيطة بهذه الدولة التى خشى

بأسها القادم أقوى دولتين فى ذلك الوقت « الفرس والروم » وتوقع كهنتهم وعرافوهم بما ستشكله هذه الدولة اذا تم الثبوت والاستعلاء من خطورة تصل الى حد القضاء على هاتين الدولتين قضاء باتا سيصل الى الأفناء . كانت ظروفا صعبة غاية فى الصعوبة فالى جانب هذا الترقب من جانب دولتى الفرس والروم والذى لم يتخذ صراعا ايجابيا الا قبل وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم بشهور قليلة وفى صدر عصر أبى بكر الصديق كانت الفئة الخبيثة التى تتربص بالمسلمين ودولتهم من المنافقين فى المقدمة ثم اليهود على جانب مستخف والكفار الذين ضاعت هيبتهم وسقطت هامات سادتهم تحت ارادة المسلمين .

كل هؤلاء .. أعداء فى وقت واحد .. يدبرون ما يدبرون ويحيكون ما يحيكون ويكيدون كيدا والله يكيد كيدا فما بالك بكيدهم وهو يتمكن من نبى الاسلام الى حين ويكاد يحدث أكبر زلزال فى تاريخ الاسلام ويصنع فتنة عظيمة ليس لها من دون الله كاشفة .

« ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم » . (سور النور ١٠) .

لمس المؤمنين عذاب عظيم ولكادوا أن يفتنوا النبى والذين معه فيردوهم الى سوء المنقلب وحاشا لله أن يكون على نبيه مثل هذا الكيد فاذا هو نصيره والمؤمنين واذا فضل من الله فى لحظة حاسمة يعيد الأمور الى حقيقتها ويخرج رسوله ومن أتبعه من المؤمنين من كيد المنافقين والأفاكين ويعدهم مغفرة وأجرا كبيرا .

لقد أراد الله بحديث الافك أن يبتلى النبى اساطين وأئمة المسلمين بلاء عظيما وأن يعدهم لمعركة فاصلة قادمة مع الكفر والشرك وأن يقوى شوكتهم المعنوية والوجدانية فى صراعهم القادم مع قوى الشر على الأرض جميعا ، فكان حديث الأفك خيرا بعيدا لم يدركه أحد من المؤمنين الا بعد انجلاء الكربة وانفضاض الغمة .

« لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم » . (سورة النور ١١) .

انه ابتلاء حقيقى بالجملة قبل أن يكون لعامة المؤمنين فهو لخاصتهم لأبى بكر لعمر لعلى ، لرواية الحديث الأولى ومعلمة الأمة وأم المؤمنين عائشة الصديقة ثم لمن .. لمن ؟؟ .. لسيد البشر صلى الله عليه وسلم .

سأدع لك أن تتأمل معى الأحداث وترى ذلك الترتيب العجيب الذى دفع بعائشة الى السفر مع النبى فى غزوة بعينها وأن تتوالى الأحداث لتدفع فى طريقها بمن يأخذها على راحلته حيث التبس على القوم وجودها داخل هودجها ثم ذلك التفكير السريع الخبيث من قبل زعيم النفاق فى اشاعة الأمر بشكل يسىء الى الاسلام مباشرة فى أعظم ثلاث شخصيات يقودون ركبه ، ويثبتون أركانه « رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجته السيدة عائشة وأبيها أبى بكر الصديق » .

ففى شهر شعبان من سنة ست هجرية مضى النبى صلى الله عليه وسلم بجيشه الى بنى المصطلق قوم من بنى خزاعة يقيمون على ماء يقال له المريسيع الى ساحل

البحر الأحمر بين جـــدة ورابغ لما علم منهم أنهـم يجمعون اليه ويستعدون له للغــارة عليه فطفق النبى وبادر اليهم حتى يطفىء نار الفتنة فى مهدها •

روى يونس عن ابن شـهاب أخبرنى عـروة بن المسيب وعلقمة بن أبى وقاص وعبد الله بن عبد الله من حديث عائشة حين قال لها أهل الأفك ما قالوا فبرأها الله تعــالى وكل حدثنى بطائفــة من حديثهــا وبعض حديثهم يصــدق بعضا وان كان بعضهم أوعى له من بعض قالت : كان رســول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج سهمى فخرجت معه بعد ما نزل الحجاب وأنا أحمل فى هودجى فسرنا حتى اذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينــة أذن بالرحيل ، حينئـــذ فمشيت حتى جاوزت «ذات الجيش» • (ذات الجيش تلك واد قرب المدينــة وفيه انفرط عقـــد السيدة عائشة رضى الله عنها) فلما قضيت حاجتى أقبلت الى رحلى فاذا عقد لى من جزع « ظفار » (مكان باليمن

ينسب اليه الجزع:الخرز)قد انقطع،فالتمسته وحبسني التماسه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى ، فاحتملوا هودجى فرحلوه على بعيرى وهم يحسبون انى فيه وكان النساء أنذاك يأكلون من العلقة من الطعام فلم يستنكروا خفة المحمل وحين رفعوه وكنت جارية حديثة السن — فى الثانية عشرة أو الرابعة عشرة — فبعثوا الجمل وساروا فوجدت عقدى بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب فأقمت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أنهم سيفقدوننى فيرجعون الى فبينما أنا جالسة غلبتنى عينى فنمت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى من وراء الجيش « فأدلج » الدلجة : سير الليل ، والادلاج : سير أوله ، والادلاج سير آخره) أصبح عند منزلى فرأى سواد انسان نائم فأتانى فعرفنى حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاسترجع (انالله وانا اليه راجعون) فاستيقظت باسترجاعه حين عرفت فخمرت وجهى بجلبابى والله ما كلمنى ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه فأناخ

راحلته فوطىء على يديها فركبتها فانطلق يقودنى حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة فهلك من هلك فى ، وكان الذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبى بن سلول فقدمنا المدينة فاشتبكت شهرا والناس يفيضون فى قول أهل الافك لا أشعر بشىء من ذلك ويريبنى فى وجعى انى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف ولا أشـــعر بالشر حتى خرجت يوما بعد ما نقهت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وهى متبرزنا وكنا لا نخرج الا ليلا الى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من موتنا وأمرنا أمر للعرب الأول من التبرز قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف ان نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح بنت أبى رهن بن عبد مناف وأمها ابنـــة صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق ، وابنها مسطح بن اثاثة بن المطلب فأقبلت أنا وهى قبل بيتى قد فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح فى مرطهـــا ــ كساء من صـــوف ــ فقالت : « تعس

مسطح » فقلت لها : « بئس ما قلت آتسبين رجلا شهد بدرا » ؟ فقالت : أى هنتاه ـ يا هـذه ـ أو لم تسمعى ما قال؟قلت وماذاك؟ فأخبرتنى الخبر فازددت مرضا على مرض فلما رجعت الى بيتى ودخل على رسـول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف بيتكم ؟ قلت أتأذن لى أن آتى أبوى ! وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما فأذن لى فجئت أبوى فقلت يا أمتاه ما يتحدث الناس ؟

قالت : يا بنية هونى عليك فوالله لقلما كانت امرأة عند رجل يحبها لها ضرائر الا أكثرن عليها .

فقلت : « سبحان الله وقد تحدث النـاس بهذا فبكيت الليلة حتى لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ثم أصبحت أبكى فدعا رسول الله صلى الله عليه وسـلم على بن أبى طـالب وأسـامة بن زيـد حين استلبث الوحى ـ استبطأه ـ يستأمرهما فى فراق أهله فاما أسامة فأشار على رسـول الله صلى الله عليه وسـلم بالذى يعلم من براءة أهله وبالذى يعلم فى نفسه من الود فقال : « يا رسول الله اهلك ولا نعلم الا خيرا » .

وأما على فقال : « لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير واسأل الجارية تصدقك » .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : أى بربرة هل رأيت من شىء يريبك ؟

فقالت : لا والذى بعثك بالحق ان رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله .

فقام صلى الله عليه وسلم فاستعذر من عبد اللهبن آبى بن سلول ، فقال وهو على المنبر : يا معشر المسلمين من يعذرنى فى رجل قد بلغنى أذاه فى أهل بيتى فوالله ما علمت على أهلى الاخيرا . ولقد ذكروا رجلاماعلمت عليه الا خيرا

« وما كان يدخل على أهلى الا معى » .

فقام بسعد بن معاذ فقال يا رسول الله أنا أعذرك منه وان كان من الأوس ضربت عنقه وان كان من اخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك .

فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ـ وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله .

فقام أسيد بن حضير وهو بن عم سعد بن معاذ فقال : كذبت لعمر الله نقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين .

فتشاور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل يخفضهم حتى سكنوا وسكت « قالت » : فبكيت يومى وليلتى لا يرقأ لى دمع ولا اكتحل بنوم ، فأصبح أبواى عندى وقد بكيت ليلتين ويوما لا اكتحل بنوم ولا يرقأ لى دمع حتى ظننت أن البكاء فالق كبدى فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى استأذنت امرأة من الأنصار فجلست تبكى معى فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فسلم ثم جلس ، ولم يجلس عندى منذ قيل لى ما قيل ولقد لبث شهرا لا يوحى اليه

فى شأنى شيء فتشهد ثم قال : « اما بعد يا عائشة فانه بلغنى عنك كذا وكذا .. فلئن كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت ألممت فاستغفرى الله وتوبى اليه ، فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب ، تاب الله عليه . فلما قضى مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة فقلت لأبى أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

فقلت وأنا يومئذ حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : انى والله لقد علمت انكم سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم انى بريئة ـ والله يعلم انى بريئة ، لا تصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر ـ والله يعلم انى بريئة ـ لتصدقنى والله ما أجد لى ولكم مثلا : الا قول أبى يوسف : «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون» .

ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا أعلم انى بريئة ، وان الله تعالى يبرئنى ببراءتى ولكن والله ما ظننت أن الله ينزل فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى كان فى

نفسي أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا فى النوم يبرئنى بها الله .

فوالله .. ما قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خرج أحد من أهل البيت حتى نزل عليه الوحى فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى انه لينحدر منه مثل الجمان من العرق وهو فى يوم شات من ثقل القول الذى ينزل عليه ، فلما سرى عنه وهو يضحك كان أول كلمة تكلم بها : « يا عائشة أما والله لقد برأك الله » .

فقالت أمى : « قومى اليه » .

فقلت : والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله .

وأنزل الله تعالى : « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم » .

« العشر آيات كلها » (سورة النور) ٩

فلما أنزل الله هـذا فى براءتى . قال أبو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته وفقره : « والله لا أنفق على

مسطح شيئا أبدا بعد الذى قال فى عائشة » فأنزلت :
« ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسمعة ان يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم » صدق الله العظيم (سورة النور) .

قال : بلى انى والله لأحب أن يغفر لى ، فرجع الى مسطح النفقة التى كان ينفقها عليه وقال : « والله لا أنزعها منه أبداً » .

قالت : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمري فقالت : « أحمى سمعى وبصرى ، وما علمت الا خيرا » وهى التى تسامينى من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع وطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الافك » .

على أن تركت لك عنان الحديث لتنتبه معى الى هذا الوصف الدقيق جدا والسرد الأمين والاسناد المتين فبما أهمية تاريخية خطيرة كان موقع هذا

الحديث فى حياة المسلمين والاسلام حتى يقضى الله أمرا كان مقضيا » وعدا عليه ، أن يجعلها دكاء وتقوم الجن والانس والملائكة والأرض والسماوات السبع بين يديه فضلا عن انه أثر بطريقة مباشرة فى حياة المسلمين وجاء بقوانين كان يجب أن تكون ، وأن الله سبحانه وتعالى أراد أن ترتبط هذه الحادثة بأهم تقنين الهى فى حياة المسلمين وهو قانون عقوبة رمى المحصنات بالزنا .. وهو على قدره ينقى المجتمع ويرقى به عن الدنايا واشاعة الفحشاء بين الأمة وتحطيم الأواصر القوية والعودة الى الجاهلية السوداء وهذا ما يربأ المسلم بنفسه منه ، ويرتقى عنه ويتطهر من داخله تطهيرا .

المهلكون فى الافك :

أما عن هؤلاء الذين تورطوا فى هذه الحادثة أو هلكوا فيها فهم عبد الله بن أبى بن سلول « زعيم المنافقين » ورأسهم وذروة سنامهم وزيد بن رفاعة

اليهودى المنافق ومسطح بن أثاثة وخمنه بنت جحش وحسان بن ثابت من المسلمين . أما عن ابن سلول فهو زعيم الخزرج السابق وكان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه عليهم ، وكان بينهم سيدا أيام عهد الباطل .

وعلى ذلك تستطيع أن تلمس حقدا بشعا ضرب على قلبه وتمكن من شغافة فبات عليه يغلى ومكث على كفره يكيد كيدا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد جاء فحقن الدماء وسوى بين الرؤوس وجعل الفضل بالتقوى وانهارت زعامة عبد الله بن أبى زيفا منسحقا مع الباطل وفقد الرجل صوابه فبعد ان كان يعيش ملكا على حروب الأوس والخزرج أصبح فردا عاديا جدا يجب أن يسجد كما يسجد العبيد وأن يركع كما ركعوا وأن يضرع لله مالك السموات والأرض أجمعين .

أترى بعد أن فقد ابن أبى هذا السلطان كله ولما يدخل الايمان فى قلبه بعد ، ألا يكون مرتعا لابليس يبث فيه ما يبث من الحقد والشنآن على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يقود الأمة قيـــادة مختلفـــة فيها اخاء وعدالة وفيها توجه خالص لوجه الله سبحانه وتعالى ، اذ زعيم المنافقين فقد صوابه لكنه كان من الذكاء الشديد حتى لم يكن ليبين بســـهولة وتنضح هويته ، ودخيلته فأراد الله سبحانه وتعالى أن يؤكد نفاقه الحقير ، وان يقدمه مفضـــوح العقيدة للمجتمع الاسلامى على مدى العصور كلها •

وكانت المقدمات الارهاصات تؤكد التفصـــيلات النفسية لهذا الرجل المنافق فها هو ذا ينفث ســـمومه بجهله وشيطانه بين المسلمين وتتضح الأمور جلية بعد انتصـــار الرسول صلى الله عليـــه وسلم فى غزوة بنى « المصطلق » • أو « المريسيع » وحين العودة ينتهز ابن ســـلول فرصة سنحت ليثير البلبلة فى صفوف المسلمين وهو الحقود المتربص بالمؤمنين الدوائر فقد وردت واردة الناس على ماء المريسيع وكان مع السيد عمر بن الخطـــاب رضى الله عنه أجير له من بنى غفار يقال له جهجاه بن مسعود يقوم فرسه فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى حليف بنى عـــوف بن الخزرج

على الماء فاقتتلا فصرخ الجهنى يا معشر الأنصار وصرخ جهجاه يا معشر المهاجرين .

فغضب عبد الله بن أبى بن سلول وعنده رهط من قومه فيهم زيد بن أرقم غلام حدث فقال أو قد فعلوها ؟ قد نافرونا — يعنى مهاجرى المسلمين من مكة « وكاثرونا فى بلادنا والله ما أعدنا وجلابيب قريش هذه الا كما قال الأول (سمن كلابك تأكلك) أما والله لئن رجعنا المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل » .

ثم أقبل على من حوله من قومه من المدينة وقال لهم هذا ما فعلتم بأنفسكم احللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا الى غير داركم » فسمع ذلك زيد بن أرقم ومشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره به بعد أن فرغ من عدوه وعنده عمر بن الخطاب ، فقال عمر : « مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال صلى الله عليه وسلم : فكيف يا عمر اذا تحدث الناس بان محمدا يقتل أصحابه ، لا ولكن أذن بالرحيل » .

هذا موقف رائع من سيد الخلق صلى الله عليه وسلم بين مدى حلمه وبعد نظرته وشخصيته الفذة ، وهو درس قيادى يبعثك على احترام هـذا القائـد والتفكير فى قراره بعمق وروية فهو قرار لم يأخذ وقتا ولا مباحثات ولا مشاورات طويلة انما جاء وفقا لوضعه كنبى آثر ألا يتقاتل أصحابه حتى وان أبدى بعضهم حقدا كان دفينا وحتى ولو سقط عنهم قنـاع تخفوا وراءه فان لمثـل هـذه المسـائل تصريفا آخر غير حمية واقتتال يصيب الرسالة أصابه غير هينة ويضعف من موقف النبى صلى الله عليه وسلم فى ظروف الارساء والبناء التى يرجوها لدعوته .

وعلى الجانب الآخر كان موقف ابن سلول مشينا باعثا على احتقاره وهو موقف ان دل فى ظاهره على تردى شخصية المنافق الحاقد الذى لم يدخل فى الدعوة الا هربا من الموت أو مواجهـة الاسـلام مواجهـة العدو ذى الباس الذى يريد ملكه بالسيف أمام تمدد الاسـلام وانتشاره فى الأرض التى كان فيها بالأمس

ملكا فان هذا الموقف حمل فى باطنه فرصة ذهبية لكشفه أمام الناس جميعا وفضحه قبل التورط الآثم فى مقالة الافك، وبذا يضعف أثره فيما بعد فهو قد بات عدوا منافقا دخل الاسلام خوفا من هلاك أو مواجهة ولا يزال يبحث عن السلطان حتى باثاره الفتنة بين المهاجرين والأنصار فى غزوة المريسيع هذه ثم مشيه بالافك ونشره بقبح ابتغاء النيل من محمد صلى الله عليه وسلم .

وعلى هذا فانه يتكشف لكل ذى عقل يريد الاحتكام الى العقل ان ابن سلول وهو الذى قاد مرضى القلوب الى التشهير بالسيدة الطهور العفيف عائشة رضى الله عنها كان يتربص بمحمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الدوائر ويتحين لهم المحن والابتلاء حتى يتسنى له أن يشوه صورة من أعتقد انه غريمة حين أسقط عن رأسه التاج وسوى بينه وبين العبيد وعلى هذا فخلق كهذا لا يؤخذ قول لصاحبه أو يصدق له نبأ .

فضلا عن انه عرف فى قومه بالنفاق •• بين أعدائه وبين أوليائه وهم ندرة •• فانه مما يؤكد رأينا فيه •• هذه الصفة الذميمة عند العرب •• وعند المسلمين •

أمثل هذا الرجل يمكن أن يكون صاحب النبأ الأعظم فى تقويض الدين ووأد حركته ؟ ! وفيمن أراد الاصابة ؟ فى رسول الله صلى اللهعليهوسلم•وفىالركن الثانى العظيم المنزلة •• الصاحب •• الذى وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم بانه الميت الذى يمشى على الأرض •• الذى باع الدنيا بما فيها واشترى الآخرة فحق له ألا يخذل فى ابنته •• فى أبى بكر أتراه أفلح المنافق بن سلول فيما أراد بمحمد وصاحبه ؟ لا والله ما فلح الا فى خير كثير أراد الله أن ينتزعه للسيدة الفاضلة أم المؤمنين عائشة من بكر عدو الله وعدو المؤمنين •

فهذه أخرى تدين ابن سلول ادانة صارخة وتكذبه تكذيبا فقد ادعى انه رأى الحادثة أى ما ادعى من ارتكاب الطاهرة المطهرة الاثم والفحشاء •

وهـذا لم يثبت يقينا ولا منطقيـا حيث أخبرنا المحدثون انه رأى صفوان وهو يقود الناقة وفوقهـا عائشة ضاربة خمارها وهنا التمعت فى عينه بروق الشر ودوت فى ضـلوعه فلول الشياطين وراح يبتلع ريقه المسموم لمن حوله :

ــ من ؟ !

قالوا :

ــ هذا صفوان وعلى بعيرة عائشة .

قـال :

ــ والله ما نجت منه ولا نجا منها .. امرأة نبيكم مع رجل من المسلمين فى خلوة راح يبث سمومه فى خسة وضعة واضحين ، حيث لم يستطع أن يوقد الفتنـة من قبل .. فالآن هيأ له شيطانه انه يستطيع أن يحط من قدر الاسلام وبنى الاسـلام وبذلك يعود سـيدا من جديـد اذ سينفض أصحـاب محمـد من حوله ، ويتوجونه ملكا كما كان ولم لا وهو الذى كشف لهم

هــذا الرجل الذى جاء بدعوته يدعو الى الطيبــات والاستقامة واذا بامرأته ترتكب الفاحشة اذن سيعود ملكا •• يا للسذاجة •• ويا للحقارة فى المواجهة •

***

دعك من كل هــذا وتعال بنا نتصور أن السيدة عائشة امرأة عادية وان صفوان رجل عادى•• ومحمد صلى الله عليه وسلم قائد جيش عادى خرج فى غزوة •

لقد أرادت هذه السيدة زوجــة القائد أن تأتى شيئا اذا مع أحد جنود القائد فهل اذا قضت وطرا وقضى وطرأ تعود هكذا محمولة على بعيره أمام الجنود أعتقد ان أحط امرأة عقلا لا يفوتها أن تتخذ لنفســها الحيطة الشديدة بعيدا عن الأنظار ان أرادت من أحد جنود زوجها شيئا • وأعتقد أن الجندى هــذا سيتخذ من الحيطة ما ينجيه من عذاب الزوج اذا انكشف أمره فلا يجازف برأسه من أجــل نزوة تفضح أمره أمام الجند فليؤجلها اذن أو يختفى اذا أراد فى وقت غير هذا وظرف غير هذا ثم لا يبدى أى اتصال مع زوجة

القائد على الملأ حتى ولو ادعاء بحملها على بعيره اذ تخلفت عن الركب فالمسألة فيها رقبته .

فما بالكم بالسيدة عائشة أم المؤمنين التى نزل جبريل بصـــورتها وما بالكم بسيد البشر الذى يعلم قدره كل من اتصـــل به واستمع اليه بل حســـبه منه الرؤية فقد لتكون وصلا أبديا من حب عميق واكبار فوق ما يتخيل العقل البشرى ولو رآه الكفـــار رؤية المؤمنين لآمنوا به الا أن الله طبع على قلوبهم وغشى أبصارهم فهم لا يبصرونه وما بالكم بصفوان وهو مؤمن شهد له الصحابة بالايمان أفترون بعد ذلك حجة قاطعة فى نفى ادعاء ابن سلول والمشاءين بالافك .. ؟

أما عن مسطح فأمره هـــين ومعروف باندفاعـــه وحماقته وكثيرا ما سمعنا عن أناس كثيرين أول ماطغوا وطعنوا طغوا على أولياء نعمتهم وطعنوهم وقد قالهـــا ابن سلول فجاءت حقا فى مسطح سمن كلبك يأكلك .. وهذا خلق لم يكن ببعيد على مسطح وقد تأكد ذلك من كراهية أمه له فقد دعت عليه بالتعاسة والشقاء .

وأما عن حمته فأمرها جلى كالشمس فى يوم صحو بلا سحب فهى أخت السيدة زينب بنت جحش زوجة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حاولت أن تشوه صورة عائشة رضى الله عنها حمية لأختها وجهلا منها بأن زوجات الرسول صلى الله عليه وسلم أرفع من هذا ، وتقربا الى أختها التى كانت تغدق عليها ثم هى امرأة ولها مكائدها فقد حاولت بهذا التشهير أن تشوه صورة امرأة أخرى تربو عليها جمالا وفضلا ثم هى لم تعلم بعد خلق أختها مثال الأدب النبوى الشريف حين سألها الرسول صلى الله عليه وسلم فى ذلك الحادث فقالت خيرا ولم تنل عائشة بسوء فقد قالت رضى الله عنها :

احمى سمعى وبصرى ما علمت آلا خيرا .

أما عن هذا اليهودى .. فبيهوديته .. التى تتحدث عن نفسها . ومن منطلق عدائهم المستمر للرسول صلى الله عليه وسلم ، له أن يروج ما يروج ويتربص الدوائر ويختلق ويندفع فان قوله مردود عليه، وكذبه كذب

وصدقه كذب وشهادته باطلة أمام المنطق والعقل فان أشد الناس عداوة ولهذا النبى صلى الله عليه وسلم ولأتباعه اليهود فماذا تنتظر من عدو لدود كهـذا اذن وماذا تنتظر منهم ــ اليهود جميعابعد ما أنكرواماجاء فى التوراة من بشرى بالنبى صلى الله عليه وسلم وقد وجدوه مكتوبا عندهم أفبعد هذا الموقف موقف ؟ .

أما عن حسان بن ثابت فلست أشك فى انه تورط ووقع فريسة لشىء فى صدره تجاه السيـدة عائشـة أو ارضاء لاحدى زوجات النبى الأخريات أو اندفاعه شاعر قل هى ان عجـزت عن تفسير موقف حسـان فما أشد تورطه وما أعظم ما أتى .

ولكنه عاد واعتذر .. وفى هذا برهان على انه كان فى موقف خاطىء لا محـالة فسامحتـه السـيدة عائشة رضى الله عنها (يا للخلق الرفيع) ومدحته بعد ذلك وردت على بعض الناس أقوالهم فيه بالخير ومدحت له شعره القائل فيها :

حصان ((رزان)) ما تزن بريبـة

وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

ويريد أن يقول انها لا تغتب أحدا من النساء على عكس الشائع المطرد فى بنات جنسها .

***

وعندما تركت نفسى معكم للعقل والمنطق والبديهة لم نجد فى أمرنا عناء ولا عسرة ولقد كان البيان علينا يسيرا وكان على المؤمنين ونبيهم صلى الله عليه وسلم فى وقت الافك ثقيـلا وعسيرا ، فاننا نجلس فى تؤدة وروية وهدوء وسكينة بعد أن اطمأنت قلوبنا الى قرآن ربنا وهو ينزل ليمحو الافك محوا ويبرىء سيدة النساء أم المؤمنين رضى الله عنها براءة خشعت لها السموات والأرض وخجلت القلوب التى ساورها بعض شك حين كان الحق بينا واضحا فاذا بالشيطان يرسـل جنده ارسالا واذا بالمحنة تشتد واذا بربك يقضى عليهم بان تمتد المحنة شهرا حتى يكون الأمر كله خيرا بعد ذلك ممعنا فى صميم الخير فقد سقطت الأقنعة الكاذبة وثبتت

القلوب للأمر ثباتا مختلف الدرجات وعرف كل امرىء منزلته من الأيام فمن كان ايمانه ناقصا كمل بعد الافك اذا انمحى ببراءة السماء ومن كان يعبد الله على حرف انفضح أمره فتاب من تاب وهلك من هلك .

ولقد كان الافك متعارضا مع العقل والمنطق لكن القرآن أدرك النبى وصحابته ونجاهم من بلاء وكرب عظيم نزلت سورة النور بعد شهر من عذاب وابتلاء بسم الله الرحمن الرحيم « ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم لاتحسبوه شرا لكم بل هو خير لكم ؛ لكل امرىء منهم ما اكتسب من الاثم والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم لولا اذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا افك مبين ، لولا جاءوا بأربعة شهداء فاذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون ولولا فضل الله عليكم ورحمته فى الدنيا والآخرة لمسكم فى ما أفضتم فيه عذاب عظيم ،اذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم ، ولولا اذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان

عظيم ، يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا ان كنتم مؤمنين
ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم ، ان الذين
يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب
أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا
فضل الله عليكم ورحمته وان الله رءوف رحيم يا أيها
الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع
خطوات الشيطان فانه يأمر بالفحشاء والمنكر ولولا فضل
الله عليكم ورحمته مازكى منكم من أحد أبدا ولكن
الله يزكى من يشاء والله سميع عليم ، ولا يأتل أولوا
الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين
والمهاجرين فى سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن
يغفر الله لكم والله غفور رحيم ان الذين يرمون المحصنات
الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب
عظيم يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم
بما كانوا يعملون يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون
أن الله هو الحق المبين ، الخبيثات للخبيثين والخبيثون
للخبيثات والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك

مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم » صدق الله العظيم سورة النور (الآية ١١ الى ٢٦) .

ولقد تأخر الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم وبقى فى تركيزه البشرى، أعمل عقله وأشار على أصحابه وكان بلاؤه فى هـذه المعركة القاسية بلاء عظيما أثبتت قدرته الخارقة على التحمل والصبر ولو أن رجـلا آخر مهما أوتى من الحكمة لبادر الى قتل زوجتـه أو الى طلاقها فى أهون الانفعال كما أشـار عليه على بن أبى طالب . وما دليل هناك على براءتها الا العقل الذى يتدبر الأمر ويسير وراء خيوطه والمسألة هنا أكبر من أن تحتكم الى العقل فهى ليست مناقشـة تدور فى اطار عائلى أو بين أطراف تجتمع كلها فى شعور واحد تأتلف لكى يبدو الحق انما كانت جزء من صراع مع قوى الكفر والنفاق صراع يمتد الى هيبة الإسـلام وبنيانه فكان لابد من مواجهته مواجهـة عقلية تؤيدها السماء ولو برؤيا يراها النبى صلى الله عليه وسلم .

فما أدراك أن يطعن رجل فى عرضه وعرض أعز أصحابه منزلة فى قلبه ويا ليت المسألة ستقف عند هذا

الحد فما أدراك بنبى يطعن فى عرضه وعرض صاحبه فى الهجرة ويا ليتها عند هذا الحد تقف فما بالك يطعن فى سيدة زوجها الله له تكليفا برز من الأحاديث التى سقناها فان الطعنة اذن موجهة الى السماء وسبحانك يارب أن يطعن فى حكمتك الجاهلون وسبحانك أن يكون لحكمك معقب وسبحانك أن يكون قضاؤك لنبيك وحبيبك سببا فى القضاء على عبادك فى الأرض فكان خيرا كل الخير .. وعلم المؤمنون انه خير لهم وقد حسبوه شرا فسبحانك يا من أنزلت براءة الاسلام من السماء .

عائشة ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

ان السيد عمر بن الخطاب رضى الله عنه عندما نبأ الزلزلة خرج عن وقار الدين لحظة سرعان ما استرد هذا الوقار هيبة السيطرة على مشاعره التى انفلتت وكادت تحدث فتنة أقوى من تلك التى تعرض لها

الاسلام ابان حديث الافك الذى تعرضنا لتفصيله لقد
مات رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخبر رب العزة
من قبل « انك ميت وانهم ميتون » وعمر يؤمن بهـذا
ايمانا شـديدا لكن فراق رسول الله صلى الله عليـه
وسلم كان حقا فراقا أليما لا يستطيع من عاشره واقترب
من فيض رحمته أن يتقبله هكذا بغير أسى عنيف وفرق
شديد ومن له بغير صبر ينصب على الأفئدة من السماء
فيربط الله عليها برباط قوى قوة هـذا الحب الذى
تمكن فى قلوب المسلمين للأمين صلى الله عليه وسلم
ووقف عمر وقال قولته الشهيرة « من قال ان محمدا
مات قطعته بسيفى » .

فما بالك اذن بمن كانت فى وجدانه وكان وجدانها
وكانت عنده مفضلة بالود عن سائر نسائه ، وبث ذلك
الى رب السماء والأرض ومن بيده القلوب يقلبها كمـا
يشاء ما بالك بالسيدة عائشة رضى الله عنها ورسـول
الله صلى الله عليه وسلم يموت فى حجرها وكأن الصدمة
لا تفتك بقلب عائشـة كما فتكت بقلب السـيد عمر
رضى الله عنه وكأن القضية الايمانية فى ضمير السيدة

عائشة سمت الى حد احتواء هــذا الحدث الجلل فلقاء
النبى صلى الله عليه وســلم فى الرفيق الأعلى موعــد
وشيك وما لقاء الحياة الدنيا بلقاء وانها لتفصح عما يهدر
فى قلبها من حب الله يوم أن تركت اليه أمرها وهو أمر
عسير اذ افترى الأفاكون ما سولت لهم به أنفسهــم
ما من أحد خرج بفضــل له من هــذا الابتلاء على
السيدة عائشة حتى انها ما قامت تولى وجهها حين نزول
براءتها من الســماء الا لبارئها وبهذا الايمــان العميق
استقبلت الســيدة عائشــة الحدث الخطب ، فعن ابن
علبه عن أيوب عن بن أبى مليكة قال : قالت عائشــة
« توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى وفى
يومى وفى ليلتى وبين سحرى ونحرى ، ودخل عبدالرحمن
ابن أبى بكر ومعه ســواك رطب فنظر اليه حتى ظننت
انه يريده فأخذته فمضغته ونفضته وطيبته ثم دفعته اليه
فاستن به كأحسن ما رأيتــه مستنا قط ثم ذهب يرفعه
الى فسقطت يده فأخذت أدعو له بدعــاء كان يدعو له
به جبريل وكان هو يدعو به اذا مرض فلم يدع به فى
مرضه ذاك فرفع بصره الى السماء فقال :

« الرفيق الأعلى وفاضت نفسه فالحمد لله الذى جمع بين ريقى وريقه فى آخر يوم من حياته » .

ولكن أترى كان استقبالها لهذا المـوت كله صبر ، ورباطة جأش جميعه ، ان الايمـان الكبير مع كارثة توشك فى مثـل هذه الأمور أن تقع . الكارثة التى أقصدها أكبر من أن تلطم السيدة عائشة وجهها فى لحظة التثبت من الفراق الأكيد ولكن الحب العارم الجبار ظل يفقدها شيئا من الثبات للأمر الجليل وسرعان ما أفاقت على الحب الأعظم فكانت الى موكب الحب العظيم أقرب واستغفرت وكان استغفارهـا متابا وأى متاب وكان عليها أن تتقبل الحيـاة بعد رحيل النبى صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الأعلى وما كان رحيله الا الى لقاء قريب وهو اللقاء الذى يفرح به المؤمنون حق الفرح .

وهو لقاء الأحبة .. محمد وصحبه فى ضيافـة الرحمن جل وعلا فى جنات الخلد .

بعد النبي صلى الله عليه وسلم

أى فراغ يمكن أن تعيش فيه اذ رحل الأنيس • وكان يملأ الدنيـا عليها ، دخوله حضوره فى البيت دعاباته ، أنفاسه العطرات تجوب كل ركن أنواره تنبعث من أعطاف البيت ، أى وحشة تتملك عليها وحدتها الآن • وهى وحدة لا يدفئها غير اجترار الذكرى واشعالها فى ضمير الأمة ، واطلاقها فى أفـاق تحركها نحو الدولة القوية التى يجب أن تعيد العالم الى منطقة النور ، وتهيأ الانسان للحياة السعيدة حق السعادة •

كانت رضى الله عنها تأوى الى الصلاة والتسبيح بجوار قبر الرسول صلى الله عليه وسلم ، لم يكن يشغلها عن ذكر الله ورسوله شاغل ، ولم تكن لتعيش الا فى أعمـاق الرسـالة تتفتح فى نفسها شيئا فشيئا رغبـة الى اشاعة العلم بين المسلمين وها هى ذى تتأهب لدور قوى فى حركة الفقه الاسلامى فأى راوية للحـديث هى ، وأى مبلغة عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم وقد شملها منه نور وهاج وتشبعت من رحيق الدعوة

بما يؤهلها لاعتلاء كرسى العلم فبينما كانت تستتب أمور الدولة الاسلامية التى يتكون هيكلها فى سرعة وتتسع أركانها بمعدل مذهل ، وبينما استقرت الخلافة لأبيها سيدنا أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، شعرت السيدة عائشة بمسئوليتها الخطيرة فى التفرغ للدعوة الاسلامية وتلقين العلم وتبصير الناس بأمور دينهم .

فلم يكن هناك مجال اذن لأن تلتفت الى الحياة السياسية فالأمر قد انتهى وحسم وسار أبو بكر الصديق على نهج النبى قدر طاقته وقضى على الفتنة الحالكة ومضى الى غاية كبرى فى نشر الاسلام فهو لم يخالف الرسول حتى فى امضاء جيش أسامة بن زيد وهو فتى لم يتجاوز الثامنة عشرة من عمره ويقود حملة مهيبة وفى ظروف معقدة تنمو الفتن فيها بشكل مطرد فلم يكن لأبى بكر أن يستجيب لما يدور فى صدور البعض بتعيين قائد للجيش بدلا من أسامة اذن فأبو بكر يمضى على درب الرسول وسنته كأنه على الصراط يسير .

وحينما تستقر الأمور بهذا الشكل فان رضاء

السيدة عائشة وهى الشخصية الفذة التى تتفاعل نفسها مع الأحداث تفاعلا لا يقصيها أبدا عن ابداء الرأى فى سياسة الرعية ، واعلان المظالم على الملأ اذا ما رأت من الخليفة مظلمة .

رحيل أبيها الصديق

هكذا الدنيا « رحيل فى رحيل ما نلبث نستقبل حبيبا حتى تودع حبيبا ولا تأتى بفرحة حتى تتبعها بأحزان دامعة وما أن استقر فؤادها بعد رحيل الحبيب حتى ألم بها توجس غامض فهى تستدعى على عجل وفى سكون الليل الرهيب تلبى نداء الداعى الى أبيها فان الحمى قد أنهكته وعملت فيه عملا شديدا وهرعت اليه ما بك يا أبتاه والصديق ينظر وعيناه تنطقان باستسلام الى ذلك الهاتف الذى ينادى من وراء الغيب هى نظرات الوداع يا عائشة ولا تجزعى كلنا الى هذه النهاية الصحبة المباركة مع الأحبة مع محمد وصحبه

وعائشة تقبل جبينه الشريف وتحـاول أن تهدىء من ارتعاشه المتواصل ثم دخلت عليهما زوجه أسـماء بنت عميس ويبدو أن الصـديق يريد أن يقول شيئا فهو يدير بصره بينهما ويأخذ بيد عائشة ويقربها منه ويقول فى صـوت خافت أنـا يا بنيتى فى مرض الموت ولم تتمالك السيدة عائشة دمعا ينبت فى عينيها فينحدر بقوة على خديهـا الشريفين ويواصـل أبو بكر الصـديق بصوت ضعيف يا بنية ان أحب الناس غنى الى بعدى أنت وان أعز الناس فقرا على بعدى انت وانى كنت نحلتك أرضى التى تعلمين وأنا أحب أن ترديهـا على فيكون ذلك قسمة بين ولدى على كتاب الله فانمـا هو مال الوارث وهما اخواك وأختاك . ويبدو أن الصديق قد لمح شيئا يتساءل فى وجه عائشة فتدارك الموقف وكأنه يقول : أعلم انك متعجبة .. فأنت تعلمين ان لك أخين وأخت واحدة فقط ولكن أتدرين يا ابنتى ان زوجتى حبيبة بنت خارجة حامل ، ولا أريد أن أظلم هـذا الولد الذى فى ظهر الغيب فى ميراثه ويبدو أن السـيدة

عائشة قدرت الموقف بحكمة وراحت تمسح جبين أبيها وتحاول أن تخفف عنه آلام الحمى .

ولم يستطع أبو بكر أن يصلى بالناس فأمر أن يصلى بهم عمر وأخذ المرض يشتد عليه ويا دنيا دعينا نمضى الى أجمل قدر الى تلبية النداء بالوديعة تريد أن تعود وكأن الصديق يتذكر فى لحظات الاحتضار ذلك الدمع الذى كان ينهمر على وجهه كالجمان حين كان يقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم .

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى » (الفجر ٢٧ ــ ٣٠) ويقول له الرسول صلى الله عليه وسلم ان الملائكة سيقولونها لك وانت تدخل الجنة يا أبا بكر .

يا لها من نهاية سعيدة راضية ولكن أتراه كان يأمن ذلك اللقاء ، لقد كان يخشى الله ويحب لقاءه كان رضوان الله عليه يقول والله لا آمن مكر الله حتى ولو كانت احدى قدمى فى الجنة ، فما بالك وهو الآن

فى سكرات الموت ويقترب اللقاء ، لكن البشرى اليوم للمؤمنين أبو بكر الصديق ذلك العالم الهائل هذه الأمة التى احتشدت ماديا ومعنويا للدعوة الاسلامية وأحدثت فى تاريخ الاسلام تطورا رائعا أبو بكر قاهر الردة بكل أبعادها وخطورتها على بنيان الاسلام فى لحظة عصيبة من تاريخ مسيرته • أبو بكر يحتضر • وتجرى المناقشة التى تقشعر لها الابدان ويطلب الى زوجته أسماء أن تغسله اذا مات ولكن السيدة أسماء ترد فى أسى لا أطيق ذلك يا خليفة رسول الله ويردعليها فى هدوء فليعينك عبد الرحمن ابنى يصب الماء وكأنما يريدون أن يصرفوا عنه ذلك الخاطر المؤلم ولكن الحمى تشتد والموت يدنو فيستدير برأسه الى عائشة قائلا : فى كم كفن رسول الله صلى اللهعليهوسلم؟فردت عائشة فى حزن : فى ثلاثة أثواب ويشير الصديق الى ثوبين معلقين ، وقال : اغسلوا ثوبى هذين وابتاعوا لى ثوبا آخر ولايزال الحزن يسيطر على مشاعر السيدة عائشة وهى ترد فى أسى مكتوم يا أبه انا موسرون •

ويتجلى روحا تشف الى السماوات العلى ويرتقى رقيا بعيدا لا يطـاوله فى ذلك أحد ممن يعيشون على الأرض آنذاك وكأنه يعاتبها يقول بحنان :

أى بنية الحى أحق بالجديد من الميت انما همـا المهلة والصديد .

ويا ســكرات الموت كفى عن رفيق رســول الله ويا سكرات الموت ترفقى بالصديق وهو ينزع الى عالم الخلود هو الصاحب الأمين حين استبدت الدنيـا بسيد البشر هو ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يضـع قدمه يسد بها الشقوق ليتلقى ســم الثعابين اذا غدرت عن رسول الله هو الذى تحرك عن يمينه وعن يساره ومن خلفه ومن أمامه يريد أن يحميه من كل اتجـاه وتمنى ساعتها لو يستطيع أن يحتوى الاتجاهات جميعا بجسده النحيل ترفقى اذن يا سكرات الموت .

وبدأ يذهب الى غيبوبة ويعود ، وفتح عينه وقال: يا عائشة ادفنونى بجوار رسول الله ، والدمع من عينى الصديق منفرط كالمطر لا يرقأ ولا يسكن اضطرابه فى

الحدق ، ولما حشرجت روحه الطاهرة فى صـــدره تمثلت بالأبيات الشعرية .

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى

اذا حشرجت يوما وضاق بها الصـــدر

ولكن أبا بكر فى قمة الصلاح وفى ذروة اللقاء فان أمثال هؤلاء تتطهر نفوسهم تطهيرا فهم فى كنف الرحمن يستقبلهـــم ، فهم فى صحبــة الحبيب وذلك القادم اليه هو زعيم الصحبة فأفاق من السكرة للحظات وقال بوجه غاضب من ألم ، ليس كذلك يا أم المؤمنين ولكن قولى « وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد » ويظل بين سكرات الموت تتنازعه وهو على ذلك يتطلع الى وجه رســـول الله صلى الله عليه وسلم وربما كانت أنفاســـه الأخيرة وداع الحياة وهى تجذب أهلها الى خطى مجهولة لا يعلم نهايتها الا الله وكان النفس الأخير شهق به وهو يردد « رب» توفنى مسلما والحقنى بالصالحين » .

ومضى الى جوار ربــه وخفقت القلوب لموتــه

رضى الله عنه وخرج المسلمون يحملونه الى مثواه حيث حفر قبره بجوار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دخل قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرحمن بن أبى بكر .

أما ما جرى بعد ذلك فكان كله أسفا فقد سمع عمر رضى الله عنه السيدة عائشة تنوح وثار ثورة شديدة ثم لم يلبث ان انطلق الى باب عائشة ونهى النسوة عن النوح ولكن النواح استمر فهتف بهشام بن الوليد وأغلظ القول له وأمره أن يدخل على ابنه أبى قحافة أخت أبى بكر ليخرجها السيد عمر ، ولكن السيدة عائشة أبت على هشام أن يفعل ذلك فأحجم ولم يسكت عمر رضى الله عنه فقال لهشام بعنف ادخل فقد أذنت لك فدخل هشام ونادى أم فروة أخت أبى بكر واذا أم فروة تخرج ينهال عليها عمر بدرته وكأنما الذرة لسعت أجساد جميع النائحات فسكتن جميعا .

ووقفت السيدة عائشة فى ختام ذلك الوداع الرهيب على قبر أبيها تقول وهى تنتحب فى نفسها :

«نضر الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك فقدكنت للدنيا مذلا بادبارك عنها وللآخرة معزا باقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأكبر الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض وأنا متنجزة من الله موعده فيك بالصبر عنك، ومستحينة كثرة الاستغفار لك ، فسلم الله عليك توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك » .

ولله كل الوجود سبحانه هذا فراق محتوم ولكن الحياة لا تتوقف الا باذنه سنته جل وعلا قد خلت فى الذين سبقوا وعادت السيدة عائشة الى صوابها مرة أخرى فان لها ذلك الطريق الذى أعدها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى على ذلك العهد باقية .

مودة واحترام

أن المودة التى أقامهـا • أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للسيدة عائشة تؤكد شفافية روحه ، ورجاحة عقله ، فالأمر لا يحتمل غير هـذه المودة ، بل لا يحتمل ما دونها وان كانت مكانة السيـدة عائشـة فى نفوس المؤمنين ، وبراءتها التى أعلنتها السماء ومزقت شـمل المتآمرين ، واحبطت محـاولات النيل من الشخصيات العظيمة فى الاسـلام ان هذه المكانة لجديرة بأن تحتل فى القلوب قدرا جليلا ، واحتراما مهذبا وتوقيرا عاليا• وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب لا يجهل مكانتها فهو الذى قال : ادنو الخيل وانتضلوا وانتعلوا ، واياكم وأخلاق الأعاجم ، وأن تجلسـوا على مائدة يشرب عليها الخمر ، ولا يحل لمؤمن ولا مؤمنة ، تدخل الحمـام الا بمئزر الا من سقم ، فأن عائشة حدثتنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ، وهو على فراشى : ايمـا امرأة مؤمنة وضعت خمارها ، على غير بيتهـا هتكت الحجاب بينها ، وبين ربها عز وجل •

ان عمر ليروى عن عائشة ، وهو على ذلك، ماجاء مجال تذكر فيه الا وذكرها بالخير فعندما تولى امارة المؤمنين ، مضت الأمور الى أحسن حال وحافظ على العلاقة بينه وبين حب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت حميمة متعانقة ، فقد اشتهر رضى الله عنه بالعدل، وهل غير العدل تبغى أمنا السيدة عائشة رضى الله عنها فى حكم الناس وكان سيدنا عمر رضى الله عنه مثلا لأعظم ما يكون عليه انسان من تقوى الله ، والبر بآل بيت النبى . والحفاظ على سنن الرسول صلى الله عليه وسلم كما قلنا ، كان بره بالسيدة عائشة عن يقين ، بمكانتها ووضعها المتميز فى قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتاريخها المشرف ، وعلمها الغزير ، فكان يجزل لها العطاء ، ويصلها بالخير ، فقد فرض عمر رضى الله عنه لأمهات المؤمنين عشر آلاف وزاد عائشة ألفين ، وساعتها قال : انها حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان زكوان مولى السيد عائشة هو أكثر الناس قدرة على رصد الأحداث من حول سيدته ، والمتغيرات

التى تحملها تلك الأحـداث ، فقد قال : قدم درج من العراق فيه جواهر الى عمر ، فقال لأصحابه « تدرون ما ثمنه » ؟ قالوا : لا . ولم يدروا كيف يقسمونه فقال عمر رضى الله عنه : أتأذنون أن أرسل به الى عائشة لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها ؟

قالوا : نعم . فبعث به اليها . فقالت ماذا افتتح الله على بن الخطاب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم لا تبقى لعطيته لقابل .

ولو عدنا قليلا بالذاكرة ، وجدنا سـيدنا عمر بن الخطاب ، صاحب موقف مشرف ازاء حديث الافك : أتذكرون ماذا قال يومها حين طلب الرسول صلى الله عليه وسلم اليه المشورة ؟

قال من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : الله تعالى .

قال عمر : أفتظن أن الله دلس عليك فيها .

هذا هو عمر . وهذه هى أمنا السيدة عائشة ولم يكن هناك دافع يدفعها لخوض السياسة أو التدخـل المباشر فى شئون الحكم .

لقد وصل حال الاسـلام فى عهد سيدنا عمر الى صورة مشرفة واتسعت أركان الدولة ووضع أسـاس ادارتها وعم العدل بشكل ملحوظ وبارز فلا غرو اذن أن تنصرف السيدة عائشة راضـية مطمئنة الى تعليم المسلمين ، وتفقيه العقول ووضع أسس رواية الحديث .

ملاذ المظلومين فى عهد عثمان :

ان شيئا بعيد الغور فى النفس ، يدفعنا دفعا الى استقصاء خبرا جليلا من حياة السيدة عائشة رضى الله عنها . فليس من شـك أن نزولها الى الالتقاء بالرأى العام . والتحامها بقضـايا الناس قد واكب ظهور الفتن الاجتماعية فى عهد عثمان رضى الله عنه ، وهى ان كانت قد اتخذت لنفسها مسارا بعينه فى عهد الصديق أبى بكر وعهد السيد عمر رضى الله عنهما انما لانها عن قناعـة بقدرتهما فى الاضطلاع بالأمور أو لأن المظـالم لم تكن قد بلغت حدا كما بلغت آيام عثمان وهى مظالم متعددة

الأسباب متشعبة الدوافع ، فان اتساع الدولة الاسلامية ودخول شعوب برمتها فى الاسلام ، واختلاط هذه الشعوب بعاداتها وتقاليدها بالحركة الاسلامية قد اشعل الفتن وعقد المعضلات . والمتأمل فى عهد خلافة عثمان، يجد دافعا ملحا قد أخرج السيدة عائشة رضى الله عنها الى الحياة العامة والى قيادة المظلومين والمطالبة بحقوقهم ، والوقوف ندا للفساد والفسق وكشفه علانية أمام الناس .

ولقد روى أن ولى عثمان أخاه لأمه الوليد بن عقبة خلفا لسعد بن أبى وقاص على الكوفة ، وكان الوليد متهما بالخمر وشاع فى المدينة أنه آم الناس يوما فى صلاة الصبح وهو سكران فلما فرغ التفت وقال : هل أزيدكم ؟ فانى أجد فى نفسى نشاطا .

فلجأ الشاكون الى بيت عائشة ، فيمن لجأوا اليه من بيوت كبار الصحابة وهم غير قليلين وانما لجأوا اليها بعد أن لجأو الى بيت الخليفه فتبرمت بهم حاشيته ، وبرأوا الوليد عنده مما اتهمه به أهل مصره.

فقال لهم : أكلما غضب رجل منكم على أميره ، رماه بالباطل لئن أصبحت لكم لأنكلن بكم فاستجاروا ببيت النبى وعائشة فيه .

ثم أصبح عثمان وسمع من البيت صوتا وكلاما فيه غلظة فقال مغضبا أما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ الا بيت عائشة .

فسمعته رضى الله عنها ، فقيل انها رفعت نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت : تركت سنة صاحب هذا النعل ولا غرو أن يلجأ مظلوم الى بيت النبوة ، وفيه قبس منه تحرر من كل عبودية لغير الله ، وتمسك بفضائل التقوى وعكف على علم رسول الله يفقه به الناس ، فاذا صارت الفتنة نارا فى هشيم المحتظر ، أخمدت أوارها ، ووقفت ظهيرا لأصحاب الحق فلا عجب أن تمنحهم السيدة عائشة الرأى والمشورة ، ولا عجب أن تسعى فى انصافهم من الظالم أيا كان هو .

وقد حدث أن شكا الناس عبد الله ابن أبى السرح واتهموه بقتل رجل ممن شكوه الى الخليفة ، فبعثت للخليفة تقول له :

قصد اليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل هـذا الرجل فأبيت فهذا قد قتل رجلا منهم ، فأنصفهم من عاملك • ترى الى مـدى بلغت السيدة ما بلغت من سخط على الظلم وانكار لما يدور فى الساحة السياسـية ، فلم يكن ليهدأ لها بال ومظلوم يطرق باب بيتها، ولم تكن لتكتفى بالعلم تلقنه والعبادة تتوفر عليها ، وجور يحيق بمسلم ، فحق عليها اذن أن تتولى بنفسها كلمـة الحق تصل بها الى ذى سلطان •

وكاد أن يكون كبش الفداء الذى انتظرته شفرات الحاشية الفاسدة هو أخوها محمد بن أبى بكر • فقد أمرت الحاشية بحياته بعد أن ولاه عثمـان بدلا من ابن أبى سرح • لولا أن أصحاب الحق عثروا على كتاب مطوى فى أنبوبة من رصـاص مكتوب فيه اذا أتاك محمد بن أبى بكر ومن معه فاحتل فى قتلهم وابطـل كتابه وقر على عملك حتى يأتيك رأى ان شاء الله •

لقد اضطربت الأحوال حقا فى عهد عثمان وتسلق المتسلقون المناصب وامتدت أيدى الفساد الى حيـاة الناس تفتك بهم كيفما شاءت • وحين ترى أم المؤمنين

رضى الله عنها ما تراه من محسوبية ورشوة وفساد ومؤامرات . فان عليها حقا أن تحمل على عثمان . وتسخط على ما يدور سخطا لا هوادة فيه ولا خشية لائم اذن فى الحق ، وحين قصدها المظلومون ولاذوا ببيتها انما الى بيت النبوة قصدوا . وبأعتابه لاذوا ، وما كان من انكارها لما أنكرت الا لياذا بتعاليم المصطفى ، ونوره الهادى صلى الله عليه وسلم .

وقد يشك فى أمر العلاقة بين السيدة عائشة وبين عثمان حين قالت اقتلوا نعثلا فقد كفر ، ان قد نقص عثمان من العطاء الذى كان مقدرا لها فى عهد عمر بن الخطاب بالرغم من أن الأموال كانت تتدفق على بيت المال تدفقا لم تشهد له الخلافة من قبل ، ولم يكن هناك سبب محدد فى هذا النقص من عطاء بيت المال للسيدة عائشة وأنا ارجح أن الحاشية المضللة . قد أضلت عثمان فى انصاف حق السيدة عائشة أو اجراء ما كان يجرى أيام عمر ، ونحن نعلم أن عمر قد أجزل لها العطاء وزاد فيه . وقد يكفى هذا الأمر لأن يوتر العلاقة بين بيت الخلافة والسيدة عائشة ،

وأن يدفع الأمور الى أسوأ ما تكون عليه من البغض أو قل عدم الرضا وحين تعلم أن عطاء بيت المال لبنت الخليفة وزوجها مروان بن الحكم قد بلغ خمس غنائم افريقية التى قدرت بمليونين ونصف مليون من الدنانير ولم تأل السيدة الطهور الحصين عائشة رضى الله عنها جهدا فى ازالة هذا الجو الفاسد الذى يمزق العلاقة بينها وبين صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم. الا أن الفتن قد ثارت فى اتجاهات أخرى وتكهرب الجو العام . وحدث ما حدث من ثورة الناس على عثمان مما أدى الى قتله .

بداية المتاعب :

ولم تنته حياة عثمان نهاية معها تنتهى متاعب أم المؤمنين وينصلح الحال وتعود أيام الاستقرار الداخلى للأمة الاسلامية الذى كان من عوامل نجاح أبى بكر الصديق بعد القضاء على فتنة الردة وادعياء

النبوة • ونجاح عمر بعد اشاعة روح العدل فى المسلمين وبنـاء أسس الدولة الاسـلامية الكبرى واستكمـال الفتوحات العظيمة وتأمين الدعوة من أعدائها فى فارس والروم •

لقد كان مقتل عثمان البداية الحقيقيـة للابتـلاء والشدة التى أخذت المسلمين عامة وأم المؤمنين عائشـة رضى الله عنها خاصة •

فعندما قتل عثمان كانت عائشة تقيم بمكة • تريد عمرة المحرم • وجاءها النبأ على وجهين ، الوجـه الأول بان عثمان قد قتل المصريين •

والوجه الثانى أن المصريين قد قتلوا عثمان •

ولمـا تأكدت السيدة عائشة من أن المصريين هم القاتلون • لم يكن رد الفعل لديهـا ايجابيا بأن تتخذ موقفا محددا واضحا وهنـا لا يسعنى الا أن أسجل انهيار سطور خطيرة من التـاريخ الاسلامى • فجعل تحول موقف السـيدة عائشـة فجـأة من السلبية الى المطالبة بدم عثمان ، ونحن نعلم جيدا موقف عثمان منها

فى قضايا عديدة : وقولته الشهيرة : اما يجد مراق أهل العراق وفساقهم ملجأ الا بيت عائشة ، وما تحمل هذه القولة من اثارة لمشاعر السيدة عائشة ، وهى أن لم تكن حاملة علم الحديث ، وبنت أبى بكر الصديق فيكفيها انها زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويكفيها أن القرآن نزل ببراءتها ، وانها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم الا يكفى انها أثارت عليه الناس ، وحركت ضده المشاعر حين استنجد المظلومون بها .

كل هذا يكفى لكى تنصرف السيدة عائشة عن المطالبة بدم عثمان حينما يقول الرواة بأن المطالبة بدم عثمان لم تعلن به السيدة عائشة الا حين أذيع أن الناس اجتمعوا على على رضى الله عنه خليفة للمسلمين ، ويقولون بان الحمية اشتعلت فيها وأخذها الغيظ وتجدد فى أعماقها الألم الدفين الذى توارى منذ السنة السادسة للهجرة ــ سنة الافك الشهيرة ــ وقد تسرب الى عقلها كلام على لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. النساء

غيرها كثيرات • يا رسول الله •• واسأل الجارية تصدقك على هذا الذى حاول أن يفرق بينها وبين حبيبهـــا رسول الله صلى الله عليه وسلم • ولم يقل فى شأنهـــا ما كان منتظرا منه فى مثل هـــذا الموقف العصيب •• ايصبح على خليفة ؟؟ يا ليت السماء انطبقت على الأرض ؤلا يستقيم الأمر لعلى •

وبنظرة متدبرة نرى اللبس قد بلغ أشده فالسيدة عائشة لاتزال بشرا لها ما للبشر وعليها ما عليهم ، وهى قد مرت بتجربة أليمة على النفس دقيقة ، معقدة أعنف التعقيد ، ولم تكن لتتقبل كلام على على وجهة أخرى غير التى وقعت فى نفسها ، فأنا أبرر موقفه لنفسى حيث لم يكن ليقول ما قاله الا اشـــفاقا على رســـول الله - صلى الله عليه وسلم ، وتولى كبره عصبة آثمة أفاكة، وهو يعلم علم اليقين أن المقصود الأول من الافك هو الاسلام فى شخص رســـول الله صلى الله عليـــه وسلم واذا ســـلمنا بأن عليا قد تجنى على السيدة عائشـــة أو قرب من التجنى اذا صـــدق الأفاكين • بما قال من رأى وقل انه اخطـــأ التعبير فى محاولته لحسم المشكلة

من وجهة نظره والنأى برسول الله عن سهـام الافك المسمومة .

فهل لم يشف نفس السيدة عائشة نزول الوحى ببراءتها بقرآن يتلى الى يوم الدين ، أم أن نزول القرآن ببراءتها قد أحكم السيف على رقاب الذين — تولوا عنها فى هـذه المحنة القاسية ، وهل لم يعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه عنها أعراض ضيق بأمرها .

لا شك أن حين تدعو السيدة عائشة لتنسى فأنك على حق وحين تجد الذكرى الدفينة تتحرك وتحرك معها الحفيظة لا تملك الا أن تلتمس لها شيئا من عذر .

على أية حال انها الفتنة .. أم حسب الذين آمنوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون .

فلقد أعلنت السيدة عائشة الحرب من ناحيتها على « على » وبدأ حينما تحركت لتطالب بدم عثمان .

وما حقن دم عثمـان دماء المسـلمين ، وما تحرك الشيطان بين المسلمين الا حين استمالتهم بعض أهواء ، واقتربوا من عرض الدنيا والسلطان . ولم يثبت للفتنة

الا قلة قليلة لم تأخذهم بهوى ، ولم يكونوا لينزلقوا الى معمعة القتال والاقتتال على السلطة .

ولكن الفتنة اشتعلت . وكانت ضرا لم يكشفه الا الله .

خروج السيدة عائشة :

خرجت السيدة عائشة من مكة بعد أن طالبت بدم عثمان وألبت القوم على « على » واتجهت الى البصرة. وصاحب هذا اعتراض صارخ من زوجات النبى صلى الله عليه وسلم على تصرف السيدة عائشة . فقد أرسلت أم سلمة رضى الله عنها الى السيدة عائشة تحذرها ، وتذكرها بمنزلتها ورفعة خلقها فردت عليها السيدة عائشة فى لطف قائلة :

« ما أقبلنى لوعظك ، واعلمنى بنصحك وليس مسيرى على ما تظنين ، ونعم المطلع مطلع فرقت فيه بين

فئتين متناجزتين ، فان أقدر ففى غير حرج ، وأن أحرج فلا غنى بى عن الازدياد .. والسلام » .

ولست أظن أن السيدة عائشة التى تقول مثل هذا الكلام .. والتى من سيرتها ما علمنا من نفاذ . البصيرة وحب الخير وبغض الشر بغضا شديدا لست أظن الا خيرا فيها وما دفعها الى ما اندفعت اليه الا التياس الفتنة ومخاتلة الدهاة عتاولة السياسة .

أما السيدة حفصة . فقد حال عبد الله بن عمر بينها وبين خروجها خرجت السيدة عائشة اذن ومضت ومعها طلحة والزبير بين العوام وأتوا لها بجمل هائل وانطلقوا الى البصرة . الى ذلك اليوم المشئوم الذى جلب ما جلب على الاسلام وكان مركبا ارتداه أعداء الاسلام للطعن من جديد فى أمنا السيدة عائشة رضى الله عنها . ولم يكن كذلك فحسب انما هو طعن من جديد فى سيد البشر صلى الله عليه وسلم . وأعطاهم سلاحا لهذه الطعان وأيدهم بكثير من الحجج والأحداث التى جرت بين المسلمين آنذاك اليوم المحلولك يوم الجمل هذا كان يوما خصبا وأيسر أن تتناوله الألسنة الحاقدة ،

والأقلام المغرضة لوضوح نية السيدة عائشة تجاه علي، ووضوح الأحداث المؤسفة .

كلاب الحوأب :

ويدأت الأحداث تتوالى ويا للاسلام منكم . ويا للرسالة من بأسكم بينكم فقد سار الركب بعائشة وطلحة والزبير ، وبينما هم فى سيرهم ، اذا بكلاب تنبح عند ماء .. واذا الرجفة رجفة عنيفة تأخذ بالسيدة عائشة . وتتساءل أى ماء هذا . فسألوا الدليل فقال ماء الحوأب . وهنا يسرى شىء فى وجدان السيدة عائشة خوف هو .. شىء مختلط عليها . شعور غامض .تذكرت فجأة ماء الحوأب . تذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جمع من نسائه .. أينكن تنبحها كلاب الحوأب « فتنادى عليهم ردونى تعود القهقرى . ردونى . ردونى . أنا والله صاحبة كلاب الحوأب وجلست لا تبرح مكانها يوما كاملا

حتى احتال عليها أصحابها وجاءها عبــد الله بن الزبير قائلا النجاة النجاة • فقد أدرككم على بن أبى طالب • وذلك بعد أن حاولوا اقناعها بأن هــذا المــاء ليس ماء الحوأب وأن الدليل قد اخطأ •

ورغم هذا الذى يجرى على الألسنة ازاء هــذا الخروج وهــذا الموقف التى لا تحسد عليه الســيدة عائشة • ويجعل كل منصف يتعاطف مع موقفها • وأن عليه وسلم ورغم هــذا التحايل الذى جرى من قبــل ابن الزبير ، ومن معهم • فان هــذا التذكــر وهــذا القرار الجرىء فى التراجع كفيل بأن يبرأ سريرة السيدة رأى على فيــه • فأقترب على منهــا فقــالت : يا بن يحملها هونا مما جرى من أحداث فيما بعد •

ان الرسول صلى الله عليه وسلم فى نفس حديثه • أنبــأ أن صاحبــة ماء الحوأب سيذبح احيــاء من حولها • اذن سيراق دم • وستجرى الأمور كما جرى بها القلم ومشيئة الله نافذة فى أمر يعلمه ويعلم منتهاه لشىء فى حكمته يدق على افهامنا •

وبالفعل مضى على كرم الله وجهه فى أثر القوم ، وهو يرجو أن يأخـذها بالطريـق فيحول بينهم وبين الخروج . هؤلاء خائفون متوجسون .

وعلى يريد الاصـلاح . وها هى الحرب تشتعل وتدور رحاها ويحمـل على وأصحابه ويفتكون فتـكا بأصحاب الجمل ويقتل طلحة والزبير . ويحـاول على كرم الله وجهه ألا يصيب أم المؤمنين عائشة بأى أذى . وانتصر على انتصارا ساحقا . وحمـل أصحابه هودج السيدة عائشة . ووضعوه بعيدا عن القتلى ، ينتظرون رأى على فيـه . فأقترب على منهـا فقـالت أ يا بن أبى طالب ملكت فاسجح فقال لها : أى أمة . يغفر الله لنا ولكم فردت فى ندم غفر الله لنا ولكم .

صـفاء وود :

تصافت القلوب بعد بغض . بغض وشحناء أراد الله أن يكون لينفذ أمرا مقدورا ، وعاد الحب يسكن

القلوب من جديد وتحدث على الى السيدة عائشــة •
وجرت مفاوضات فى صفاء وود • وطلبت منه أم المؤمنين
أن يؤمن عبد الله بن الزبير فأمنه وأمنها وجهزها للخروج
من البصرة الى المدينــة وأمدها بكل شىء من مركب
ومتاع • أمدهــا باثنى عشر ألفا من المــال وخرج
يودعها أميالا ولقد كان يقول فيها دائما خليلة رسول الله
صلى الله عليه وسلم •

بلغ اذن الصفو من القلوب مبــلغ الافاضــة •
وطوقت السماحة بالنفوس والحقتهما السكينة والرضا•
ربما نخطىء فى فهم الآخرين ، ويخطىء الآخرون فى
فهمنا ، وربما تجرى من الأمور ما يدلك على هــذا
الفهم الخاطىء ، ويؤكده فيبدو حقيقــة ، ويبدو كأنه
الحقيقة التى ما بعدها من حقيقة •

ولكن اذا ما نحن ثبنــا الى شىء من الرشد ،
وعدنا الى نور الله نستضىء به فى دروبنا ، ونعيش عليه
فى أحوال دنيانا • عرفنــا ما لم نكن نعرف • أصبح
الذى تتمناه بالأمس ، نعافه اليوم ، ونرفضه ، وحينما

خسف الله بقارون الأرض ماذا قال الذين تمنوا مكانه بالأمس ، تراجعوا عند أمانيهم وأدركوا ان الله اذا أراد شيئا أن يكون • فانه يكون ، وانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر • وهو القاهر فوق العباد •

عاد الصفو الى حياة السيدة عائشة ولازمها ندم شديد على خروجها وما أشد ما ندمت ، ولكن الله غفور رحيم • فقد أثنت على سيدنا على رضى الله عنه بعد أن كانت لا تطيق سيرته من قبل • كان الذى بينهما اذن من فعل الشيطان انه كان المؤمنين عدوا مبينا • وهما بشر • مهما بلغت بهما مرتبة السمو • فالخطأ بابن آدم حتى يموت • وباب التوبة مفتوح على مصراعيه • ماذا قالت اذن السيدة عائشة بعد أن تمكن بها صفاء القلوب •

قالت : ما ازددت يابن أبى طالب الا كرما • وقالت وددت انى لم أخرج • انما قيل لى : تخرجين فتصلحين بين الناس •

ومما لاشك فيه أن السيدة عائشة ندمت ندما

شديدا على خروجها وتمنت لو أنها ماتت قبل هـذا اليوم . فعن عمار بن عمير عمن سمع أن عائشة اذا قرأت « وقرن فى بيوتكن » بكت حتى تبل خمارها .

وعن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس قال : قالت عائشة وكانت تحدث نفسها أن تدفن فى بيتها فقالت : « انى أحدثت بعد رسول الله حدثا ادفنونى مع أزواجه » تعنى بالمسير يوم الجمل .

وروى اسماعيل بن علبه عن أبى سفيان بن العلاء المازنى عن ابن أبى عتيق قال : قالت عائشة « اذا مر ابن عمر فأرونيه فلما مر بها قيل لها هذا ابن عمر فقالت : يا أبا عبد الرحمن ما منعك أن تنهانى عن مسيرى ؟ قال : رأيت رجلا قد غلب عليك . يعنى ابن الزبير .

هذا دليل كاف على أن السيدة عائشة رضى الله عنها ندمت وندمت ندما شديدا على خروجها فى ذلك اليوم المشئوم . ثابت الى الله اذن . ولا أظن ان الله لا يقبل توبة من أحبها . وزوجها لنبيه من السماء .

وبرأها من السماء وجعلها مدرسة لعلوم الدين بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم . اللهم اغفر لنا ولها وللمسلمين أجمعين .. آمين .

كرمها .. ونقاء قلبها ـ وطلاوة حديثها :

اشتهرت السيدة عائشة رضى الله عنها بكرمها الشديد فكانت تجود بما لديها عن طيب خاطر ، وهى لاتحسب حسابا اذا أنفقت فى سبيل الله فقد بعث ابن الزبير ذات يوم لها بغرارتين فيهما مائة ألف درهم ، وكانت صائمة ، فراحت تقسم المال فى الناس ، ودخل المغرب فهتفت بجاريتها لتعد لها الطعام ، فنظرت لها جاريتها الأمينة أم ذرة متعجبة ، وراحت تضرب كفا بكف ، فليس فى البيت غير طعام بسيط وقالت أم ذرة اما استطعت فيما انفقت أن تشترى بدرهم لحما تفطرين عليه ؟ فقالت عائشة رضى الله عنها : لا تعنفينى لو كنت أذكرتنى لفعلت ولم يكن هذا مجرد حدث

عابر . فقد قال عروة بن الزبير : رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفـــا . ولقـــد كان كرمهـــا هـــذا فطـــرة انتقلت من أبيهـــا وأمها اليها . ولقد صقل هــــذه الفطرة جوارها للرسول صلى الله عليه وسلم عشر سنوات حيا . وخمسين سنة حيا بروحه، وميتا بجسده، وعاشت فى تعاليمه ممتثلة لذلك النور الذى يتفتح فى كل مسالك الحياة ، ويرفع من شأنها الى مرتبة السمو عن الدنايا، وكان نقاء قلبها صفة من حدتها منى ، وقد كانت حادة الطبع لكنها سرعان ما تصفح ، ويذكر فى ذلك صفحها عن حسان بن ثابت حين أنشدها قصيدته بعد أن تورط مع من تورطوا فى حديث الافك ويقول فيها .

حصـــان رزان ما تزن بريبـــة
وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فان كان ما قـــد جاء عنى قلتـــه
فلا رفعت ســـــوطى الى أناملى

عقيلة أصـــل من لوءى بن غالب
كرام المساعى مجدهم غير زائـــل
مهذبـــة قد طيب الله خيمهـــا
وطهرهـــا من كل بغى وباطـــل

وأن الذى قد قيل ليس بلائط
بها الدهر بل قول امرئ متماحل
فكيف ودى ما حييت ونصرتى
لآل رسول الله زين المحافل
ورأيتك وليغفر لك الله حرة
من المحصنات غير ذات الغوائل

ويذكر أيضا ندمها الشديد بعد موقعة الجمل ، وتصافيها مع على بن أبى طالب فلم يكن للسيدة عائشة عداوة عميقة مع أحد فهى سهلة فى رضاها ، لا يمعن بها غضب فى قاع الضلال ، ولكنها دائما تعود للحق، والحق دائما يلازمها وكانت رضى الله عنها لينة الجانب مع أقربائها ، تخفض جناحيها للمؤمنين والمؤمنات ، فهى التى امتثلت لأمر أبيها ، ووزعت أرضا كان قد اختصها بها بين أخويها ، وأختيها ، ومنهما أم كلثوم التى لم تكن قد ولدت بعد قبل وفاة الصديق ، وهى التى تبنت أم كلثوم واحتضنتها وأرخت لها شظف العيش ، ومهدت لها الحياة الكريمة وزوجتها من طلحة بن عبيد الله .

وكان عطفها كبيرا على ضعاف الأمة ، فقد كان لعتبة بن أبى المهلب جارية حبشية اسمها بريرة ، وفرض أبو المهلب عليها زوجا لم تتقبله وكان عبدا من عبيد المغيرة فأبدت بريره اعراضا عنــه شــديدا ، وجرت بشكواها الى السيدة عائشة ، فلم تتمــالك رضى الله عنها مشاعرها تجاه هذه الانسانة وان كانت جاريــة مملوكة ، فأبدت رغبتها الى رسول الله فى شرائها ، وقد حدث ، واعتقتها ثم هى التى أرســلت جاريــة تضرب بالدف فى عرس الفارعة بنت أسعد وهى فتاة يتيمــة كانت عنـــدها تحدب عليها ، وترعاها ، ولما سألت الرسول عما تقول الجارية وهى تضرب بالدف أجابها صلى الله عليه وسلم :

اتيناكم ... اتينــاكم فحيونــا نحييــكم

ولولا الذهب الأحمــر ما حــلت بواديــكم

ولولا الحنطة السمراء ما ســمنت عــذاريكم

وسارت السيدة عائشة مع الفارعة الي بيتها تزفها كما تزف بنتها .

ومن الطريف أن السيدة عائشة رضى الله عنها كانت اذ جلست منفردة فى بيتها حلا لها أن تلبس ثيابها وتنظر اليها ، فقد قالت : لبست ثيابى فطفقت انظر الى ذيلى وأنا أمشى فى البيت والتفت الى ثيابى وذيلى . فدخل على أبو بكر فقال يا عائشة أما تعلمين أن الله لا ينظر اليك الآن . قلت : ولم ذاك ؟ قال أما علمت أن العبد اذا دخله العجب بزينة الدنيا مقته ربه عز وجل حتى يفارق تلك الزينة ؟ فنزعته فتصدقت به . قال أبو بكر عسى ذلك أن يكفر عنك .

ألا ترى معى فى حديثها هذا توجها الى الله عز وجل ، وتقربا لمرضاته حتى خلع زينة الحياة الدنيا . وحتى خلع الحياة الدنيا نفسها من الدماء وهى بثوبها لا تخلعه فحسب اذ أغضب الله منها ، ولكنها تتصدق به لتشترى الرضا كاملا ، ومن غير أم المؤمنين يفعل مثلما فعلت .

ثم هى فى حديثها لها حلاوة وعليه طلاوة ، أليست هى التى جرى لسانها بألفى حديث روتها عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم • بل يزيد وهى التى كانت اذا سمعت شعر زهير أو الوليد •• استوحته نفسها ، وراحت تغرد فيه فى تمثلها للمواقف ، وبما قالت لاحدى بنات زهير : أن الحلل التى كساها أبوك هرما لم يبلها الدهر •

من أسلوبها الجزل الجميل شىء من من خطبة وقفت تحاول أن ترد الأمور الى نصابها كما كانت ترى ، وراحت تذكر الصديق رضى الله عنه فتقول : ان أبى ثانى اثنين الله ثالثهما وأول من سمى صديقا ، مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض ، وقد طوقه وهق (حبل يوضع فى العنق) الامامة ــ ثم اضطرب حبل الدين فأخذ بطرفيه وربق (شده فى حبل فيه عرى) لكم أثناءة فوقذ (كسر) النفاق وغاض نبع الردة وأطفأ ما حشت يهود ، وأنتم يومئذ جحظ تنتظرون العدوة وتستمعون الصيحة فرأب الثأى (أصلح الفتق والخلل) وأرزم مسقاة وامتاح من المهواة واجتهر دفن الرواء (استقى من البئر

العميق وأخرج خبايا الماء الغزير) حتى أعطن الوارد وأورد الصادر وعل الناهل (استقى أكثر من مرة) فقبضة الله واطئا على هام النفاق • مذكيا نار الحرب للمشركين ، فاتنظمت طاعتكم بحبله فولى أمركم رجلا مرعيا اذا ركن اليه يعيد ما بين اللايتين(عن سعةالصدر) عركة (أى الاختبار) للاذاه بجنبه صفوحا عن اذاه الجاهلين ، يقظان الليل فى نصرة الاسلام •

وعندما تنظر الى قوة الأسلوب ، وفخامة وجزالة ألفاظه لا يأخذك بعيدا عن عمق المعنى ولا يمنعك متعة الخيال التى تحسه فى سياق الكلام ، وتذوق المعانى حتى ولو فقدت بعضها بسبب فارق الزمن بين لغة عصرها ولغة عصرنا ، وهناك خطبة أخرى ذكرها الأستاذ العقاد تكاد تقترب من لغة زمننا ، وان كنت اذا قرأتها حسبتها انها قد قيلت أو كتبت فى أيامنا هذه ، فقد قالت رحمها الله : رحمك الله يا أبت ، فلئن أقاموا الدنيا لقد قمت الدين حين وهى شعبه ، وتفاقم صدعه ، ورجفت جوانبه ، انقبضت عما اليه أصغوا ، وشمرت فيما عنه ولوا ، واستصغرت من دنياك ما أعظموا

ورغبت بدينك عما أغفلوا ، طالوا عنان الأمر واقتعدت مطى الحذر فلم نهنضم دينك ولم تنس عدلك ففاز عند المساهمة قدحك وخف مما استوزروا ظهرك . هذه كلمات موجزات تفى تاريخ الصديق لله ونحلل شخصيته تحليلا أمينا ، وتقربنا من أعماقه بقدر انجازاته على مدى تاريخ طويل .

وللنظر أيضا فى أسلوبها ، وهى تروى قصة الافك التى شغلت الأمة فى فترة عصيبة ، وكادت تكون فتنة لولا أن الله تدارك المؤمنين فهى تقص طرفا نسوقه: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قلص دمعى حتى ما أحس منه بقطرة وقلت لأبى : أجب رسول الله . قال : والله لا أدرى ما أقول . فقلت لأمى : أجيبى فقالت كذلك والله ما أدرى . ثم قلت : لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر فى نفوسكم فلئن قلت لكم انى بريئة والله يعلم انى بريئة لا تصدقونى ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا أجد لى ولكم مثلا الا قول أبى يوسف عليه السلام : فصبر جميل والله المستعان ـ ثم تحولت فاضطجعت على

فراشي وما كنت أظن أن الله ينزل فى شأنى وحيايتلى ..
وكنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم
رؤيا فى النوم يبرئنى الله بها .

هذا طرف من حديث سقناه روته السيدة عائشة
بدقة متناهية لأنه يفصل حدثا خطيرا فى تاريخ الاسلام .
وموضع جدل عنيف لازال أعداء الاسلام يحاولون
ركوب موجته لينفذوا الى نقطة ضعف يظنونها ظنا ،
وهى حين تناولت حديث الافك لم تكن فقط ترسم
أبعاد حدث تاريخى . انما قد استطاعت أن تصور
اضطرابها . واضطراب من حولها من جراء هذه الفتنة ،
وأيضا فسرت لنا معالم نفسها الطاهرة وصدق نواياها
وصبرها على هذه الأزمة الشديدة .

هى قطعة من أدب وتاريخ — وصورة لمجتمع
كامل — يتناهض طرفاه طرف من أجل الخير ، وآخر
فى طريق الشر . وهى ملخص كفاح النبى وأصحابه
أمام أعتى الأسلحة التى استخدمت ضده ، وهوسلاح

الشائعات الذى يهز الجبهة الداخليـــة ويصنع الثغرات لنفاذ العـــدو • ان السيدة عائشة بروايتهـــا هذه القصة أكدت طلاوة أسلوبها وسهولة تعبيراتها الى جانب صدقها فى تناول الموضـــوع من جذوره وهى على هذا فى كل أمور اللغة التى شبعتها بأدب القرآن وأدب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فى علمها الدينى والدنيوى :

لم تترك السيدة عائشة حياتها هكذا دون أن تتحدد ملامحها وتبين أهدافها البعيدة سواء أكان على مستوى العمـــل الاســـلامى الكبير • أو على مستوى العمـــل البسيط الذى تقوم عليه المرأة فى شىء من الروتينية • ولم تشأ أيضا أن تســـير على سجيتها وطبعها • انمـــا أخذتها بشىء من الجد والمثابرة والتوفر على حيـــاة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنهل منها العلم والسلوك والمثل وتنشرها بين المسلمين • فلا تتوانى •

لقد ظهر جانب جديد من جوانب شخصيتها الفذة.
فقد كانت حريصة على العلم أشد الحرص ، نهلت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيضا دفاقا من علمه. شفت روحها أولا . أشبعت كوامن نفسها . روت ظمأها . فقد قال الترمذى حدثنى حميد بن مسعود : حدثنا زياد بن الربيع حدثنا خالد بن أبى سلمة المخزومى عن أبى بردة عن أبيه قال « ما أشكل علينا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم حديث قط فسألنا عائشة : الا وجدنا عندها منه علما . وعن عطاء بن أبى رباح قال « كانت عائشة أفقه وأحسن الناس رأيا فى العامة » .

وقال الزهرى « لو جمع علم عائشة الى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل » وفى رواية أخرى عن الزهرى « قال لو جمع علم الناس كلهم وأمهات المؤمنين لكانت عائشة أوسعهم علما » .

وقال الأعمش عن أبى الضحى عن مسروق قال: قلنا له هل كانت عائشة تحسن الفرائض ؟ قال : والله

لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الأكابر يسألونها عن الفرائض •

ولم يكن علم السيدة عائشة مقصورا على العلوم الدينية من القرآن والسنة والآراء الفقهية التي استعصت على عامة الناس وخاصتهم • بل كانت تروى الشعر وأى رواية قال الواقدى : حدثنا بن أبى الزناد عن هشام عن أبيه قال : ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتا وأكثر وعن الشعبى : ان عائشة قالت: رويت للبيد نحوا من ألف بيت وعن الشعبى قال: قيل لعائشة : « يا أم المؤمنين هذا القرآن تلقيته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا الحلال والحرام (الفقه) وهذا الشعر والنسب والأخبار من أبيك وغيره •

وقال أبو الزناد : ما رأيت أحدا أروى للشعر من عروة بن الزبير • فقيل له ما أرواك للشعر قال وما روايتى من رواية عائشة له • ما كان ينزل بها شىء الا أنشدت فيه شعراء • وما أشعر اعجابى بامرأة تجمع

بين علوم الدين والدنيا • فهى تجمع بين القرآن والسنة الشريفة وعلوم الفقه • وما الى ذلك • وتروى الشعر رواية جديدة حتى أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كان يدخل عليها يقول لها : أبياتك •• أبياتك يا عائشة • فتنشده شعرا رقيقا بليغا •

لقد تعلمت السيدة عائشة بجانب كل هذا • الطب • فقد كان عروة يقول لها يا أمتاه لا أعجب من فقهك أقول زوج نبى الله وابنة أبى بكر وكان أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب •• من أين هو؟ وما هو ؟ يقول عروة فضربت على منكبى وقالت : أى عروة : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم آخر عمره وكانت تفد عليه وفود العرب من كل وجهة فتنعت له الانعات وكنت اعالجها له فمن ثم •

وعن هشام بن عروة عن أبيه قال « ما رأيت أحدا أعلم بالطب من عائشة رضى الله عنها ، فقال عروة فقلت يا خالة : ممن تعلمت الطب ؟ قالت كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه •

عن سعيد بن سليمان عن أبى أسامة عن هشام عن أبيه قال : لقد صحبت عائشة فما رأيت أحدا قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بشعر ولا أروى له ولا بيوم من أيام العرب . ولا بنسب ، ولا بكذا ولا بكذا .. ولا بقضاء ولا طب منها فقلت لها يا خالة .. الطب من أين علمتيه فقالت كنت أمرض فينعت لى الشىء ويمرض المريض فينعت له . وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض ، فأحفظه » .

وقد ظهر لنا اذن من هذه الروايات وهى مثبتة فى كثير من كتب الحديث ومعظمها مثبت فى الصحيحين . ظهر لنا أن السيدة عائشة رضى الله عنها بلغت شأوا كبيرا وقدرا ساميا فى علوم الدين والدنيا وانها استفادت افادة كاملة من كل من جاورتهم أو تعاملت معهم . وكان أقرب من تعامل معها رسول الله صلى الله عليه وسلم فتربت على الأدب النبوى وبلغت به مرتبة العلماء الفقهاء بل ربما فاقتهم بشهادة من شهدوا من

الصالحين وكان لا بد لهذا العلم الغزير أن يجـرى فصيحا بوسيلة ميسرة ، فيسر الله لها فصاحة اللسان وعذوبة البيان ، وحلو الكلام ، بل تفوقت أيضا فى ميدان الفصاحة ، فعن ابن سيرين عن الأحنف قال : سمعت خطبة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى والخلفـاء بعدهم ، فما سمعت الكـلام .. من فم مخلـــوق أفخم ولا أحسن منه من فى عائشة .

وقال موسى بن طلحة ما رأيت أفصح من عائشة.

لقد أدت واجبها على أتم وجه وخير أداء تقوم به سيدة جمعت هذه الصفات القوية التى قلما تجتمع للرجال ، وقلما يقوم بها انسان كما قامت بها السيدة عائشة رضى الله عنهـا ، فيشهد على ذلك كـل من عاصرها ، وروى عنها آلاف الأحاديث النبوية أتظنهم قد شهدوا ، كما يشهد الأموات الآن ، شهادة موقعة بحروف شائهة وقلوب مليئة بالصدى ، انما شهادتهم شهادة الأحياء وكثير فى بطن الأرض أحياء .

المحنـة تقطع كبدهـا

وكأن الفرق لا يستطيع عن قلبها فراقا ، وكأن الألم يلازمهـا الى الأبد ولكن ألا بذكر الله تطمئن القلوب بلى ... فلولا ذلك الصبر الذى أفرغه الله عليها ما تحملت المصائب تلو المصـائب وصبرت على المحن والكوارث التى تهد الجبال هدا اذا اعترضتها أو ألمت بها .

فحين رحل الصديق أبو بكر رضى الله عنه ترك الأسرة البكرية ، مكونة من السيـدة أسماء ذات النطاقين ، والسيدة عائشة وعبد الرحمن ومحمـد وأم كلثوم فى بطن أمها حبيبة بنت خارجة .

أما أسماء بنت عميس فقد تزوجت من على بن أبى طالب وابنها محمد بن أبى بكر لم يبلغ الثالثة من عمره بعد ، فنشأ محمد فى كنف على بن أبى طالب . نشأة متصلة بعلى اتصالا قويا عميقا ــ فتشربه محمـد ، وأحبه على حبا شديدا وتعلق محمد بعلى . وكـذلك كان حتى شب وأصبح فتيا فكان خليله فى رحلتـه

المضنية أمام تيار معاوية بن أبى سفيان وفى وجـــه الصراع الضروس الذى اشتعل لما اشتعلت الدنيا فى النفوس وسقط من وعيهم لقاء الله عز وجل أما أم كلثوم فقد وضعتها أمها جارية وضمتهـــا السيدة عائشـــة رضى الله عنها الى كنفها وأعدتها اعدادا كريما لتكون سيدة بيت ولما بلغت سن الزواج وفكرت لها وكانت أن اهتدت الى أن تترك هــذا الموضوع لتصريف الله ، وما هى الا أيام حتى أتى عائشة رســـول من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب . فذكر أم كلثوم بنت أبى بكر لنفسه فابتسمت السيدة عائشة وعرضت الأمر على أم كلثوم ، وكانت أم كلثوم فتاة غضة جميلة ، رقيقة، شديد الحياء ، لكنها قالت فى صوت خفيض : يا أم المؤمنين ان عمر رجــل شديد خشن العيش لا أطيق الحياة بهذا التقشف .

فربتت السيدة عائشة على ظهرها ، وقالت وهى مدركة لين العيش الذى توفره لأم كلثوم : عندك حق يا أختاه . وأرسلت عمرو بن العاص .

ايرد على أمير المؤمنين طلبه ، لكن بذكاء وأدب.

وقد حدث ، ومرت الأيام فاذا بطلحة بن عبيد الله يطلب الزواج من أم كلثوم • وهنا تدخلت السيدة عائشة باحساسها المرهف ، وأخذت تذكر لأختها مواقف طلحة بن عبيد الله فى أحد ، وشخصيته المتواضعة وانسانيته الفذة • وتم الزواج • لتنجب أم كلثوم الفتاة الجميلة عائشة بنت طلحة •

أما محمد بن أبى بكر فقد أراد الله أن يشارك فى المحنة الشديدة التى أزهقت أرواح المسلمين ، وقوضت بنيان الأمة فى أعز ما لديها • ولم يشترك محمد الا مرغما ، دفاعا عن عقيدة اعتقدها وعهدا أخذه على نفسه ألا يترك الرجل الذى رباه فى رحلة كفاحه لاعادة توازن الأمة الاسلامية ، ولتحكيم أمر الله ، وعندما قتل عثمان،وبدأت الأمور تستقر بعض الشىء، ولكن ذلك الاستقرار الذى تتحرك الأرض من تحته، ولى على بن أبى طالب محمد بن أبى بكر على مصر بدلا من قيس بن سعيد الذى كان قوى الشوكة ذا بأس ورأى ثاقب ، فأذاع معاوية على الناس : ألا يسبوا قيسا مدعيا انه يتعامل معه سرا ويحسن

معاملة شيعته من أهل « خربتا » ووقع ما أراد معاوية، وعزل قيس ، وعين محمد بن أبى بكر، وبذلك بدأ معاوية تركيزه على مصر ، وكان محمد بن أبى بكر قد جاء لمهمة محددة ، وبدأ يحتوى الأزمة ويقاتل أهل « خربتا » بناء على تعليمات أمير المؤمنين وأبيه الروحى على بن أبى طالب . وقد رفض قيس بن سعد قتالهم وفضل احتواءهم بالسلم عن قتالهم .

واشتعلت الأزمة وتحرك جيش بقيادة عمرو ابن العاص كان فيه عبد الرحمن بن أبى بكر ، وكانت هذه بداية المحنة التى ألمت السيدة عائشة : الأخان كل منهم فى جيش الأخان يقتتلان انها حقا محنة ... وأى محنة اعترضت أم المؤمنين فى توقيت صعب .

وبدأت المناورات ، واشتد الصراع ، وطلب محمد بن أبى بكر الامداد من على ولما لم يصل المدد بعد وكان عمرو قد بلغ أدنى أرض مصر ، ووثب أهل مصر على محمد ، وبالذات أهل خربتا بقيادة معاوية بن خديج ، وفكر على عندما بلغته هذه الأخبار أن

يعيد قيس بن سعد الى ولاية مصر ، فالأمر يحتاج اذن الى رجل قوى الشكيمة — وكان محمد بن أبى بكر ما يزال حدثا • وقال على فى نفسه ان قيس لن يقبل قمع تمرد أهل « خربتا » بالقتال ، فأرسل مالك بن الحارث الأشتر وبعث اليه برسالة مختصرة تحدد مهامه فى ضرب التمرد •• أما بعد فانك ممن استظهرته على اقامة الدين وأقمع به نخوة الاثيم وأشد به الثغر المخوف ، وكنت قد وليت محمد بن أبى بكر مصر • فخرجت عليه الخوارج وهو غلام حدث ليس بذى تجربة للحرب ولا مجرب للأشياء فأقدم على لتنظر فى ذلك فيما ينبغى ، واستخلف على عملك أهل النصيحة من أصحابك والسلام •

ولما كان معاوية يعلم شدة الأشتر وحسن بلائه دبر له قبل أن يصل مصر ، وتمكن معاوية من القضاء على الاشتر بمكيدة وهو فى الطريق الى مصر فقد دس له السم خلال رجل اعترضهم فى الطريق ودعاهم الى طعام ومضت الأمور مرتبكة ، لا تكاد تستقر حتى تشتعل وتضطرب • فقد علم محمد بن أبى بكر بما

أراد على وأثرت فى نفسه ، ولكنه بعد عدة مراسلات
مع الخليفة فهم أبعاد قرار أمير المؤمنين ، وبقى محمد
لمواجهة الموقف الذى تعقد بعد مبايعة أهل الشام
لمعاوية ، واستقطاب معاوية لرأسين كبيرين من رؤس
التمرد فى مصر هما « معاوية بن خديج الكندى
ومسلمة بن مخلد الأنصارى وقد وضع معاوية كليهما
فى جيبه حين أرسل لهما بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فان الله ابتعثكما لأمر عظيم به أجركما ، ورفع
به ذكركما وزينكما به فى المسلمين طلبكما بدم الخليفة
المظلوم — يقصد عثمان وغضبكما لله اذا ترك حكم
الكتاب ، وجاهدتما أهل البغى والعدوان فأبشر
برضوان وعاجل نصر أولياء الله .

وفعلا استجابا والتقيا بجيش عمرو بن العاص
الذى سار بستة آلاف رجل ، وحدث وقد أبلى كنانة
ابن بشر قائد مقدمة جيش محمد بن أبى بكر بلاءا
حسنا ، وأخذ كتائب عمرو كتيبة كتيبة — ولكن معاوية
ابن خديج أحاط بكنانة فى توقيت حرج ، وتمكن من
السيطرة على جنوده — حتى انفردوا بكنانة وقتلوه ،

ثم انقلبوا الى محمد بن أبى بكر حتى وقعت المهزلة فقد خرج معاوية بن خديج فى طلب محمد بن أبى بكر وشعر أخوه عبد الرحمن بن أبى بكر بهذا ــ فاستنجد بعمرو بن العاص • الذى تفاعل مع الأمر بفتور بل انه لم يتفاعل على الاطلاق ، وتمكن معاوية بن خديج من محمد بن أبى بكر عندما عثر عليه فى احــدى المغارات ، وقد أنهكه الجوع والعطش وجرت مواجهة بين محمد ومعاوية ، أظهر محمد فيها جلد صبره فقــد منعه معاوية من الماء لما طلبه وهم أخوه عبد الرحمن أن يسقيه • فأوقفه ابن خديج وقال لا سقاه الله ان سقاك قطرة ماء انكم منعتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما فتلقاه الله بالرحيق المختوم والله لأقتلنك يا بن أبى بكر فيسقيك الله الحميم الغساق •

فاذا بمحمد ينتفض ، ولا يرهبه سيف مدبب فى عنقه ، أو رمح مصوب فى ظهره أو سهم يتوجه الى قلبه ولا همه عطش أو جوع وقال يا بن اليهودية النساجة ليس ذلك اليك والى من ذكرت ، وانما ذلك الى الله عز وجل يسقى أولياءه ــ ويظمىء أعداءه أنت وضرباؤك

ـ ومن تولاه أما والله لو كان سيفى فى يدى ما بلغتم منى هذا ٠

وعلى مرأىَ من أخيه عبدالرحمن بن أبى بكر قطع معاوية بن خديج الكندى عنق محمد بن أبى بكر بسيفه فانفصلت رأسه عن جسده ، والدمع ينفرط من احداق عبد الرحمن وهو واقف مكتوف اليدين،ولم يستطع أن يمنع ما جرى بعدالموت فاذا بابن خديج الكندى ــ يرسل رأس محمد فى طبق الى معاوية بن أبى سفيان ٠

وقام بشق بطن حمار،ووضع فيه بقية جسد محمد، وأحرقه فى مشهد تشيب له الولدان،وتنفطر منه الأفئدة، وتحترق له الأعصاب وان محمدا قبل أن تضرب عنقه رد فى ثبات حين توعده ابن خديج بحرق جسده فى بطن حمار قائلا : ان فعلتم فى ذلك ـ فطالما فعل ذلك بأولياء الله ٠

وأنى لأرجو هذه النار التى تحرقنى بها أن يجعلها الله بردا وسلاما ، كما جعلها على خليله ابراهيم وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود

وأوليائه ، ان الله يحرقك ومن ذكرته من قبل . وامامك وهذا (مشيرا الى عمرو بن العاص) بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيرا ولم يأبه محمد للموت وهو يعلم أنه أقرب اليه وقتها من حبل الوريد . وسقط الخبر على السيدة عائشة كالصاعقة ، فوجمت ، ولم يستجب من فرط الدهشة فى أوصالها غير الدمع الغزير ، وهو منهل على وجهها يشوى كالحريق ، وينفعل كالبركان ، وراحت تصرخ : كنت أعده ولدا وأخا ، وكان له فضل وعبادة وراحت يتقطع كبدها ، قتل محمد بأيدى الخائنين ، ومثلوا به أبشع مثلة — وقتل أخوه عبد الرحمن لما قتلوا أخاه أمامه فبقى السيف الذى أطاح برقبة محمد يطيح برقبته كل لحظة .

يا صبرك يا أم المؤمنين . وراحت رضى الله عنها من شدة الألم تدعو على عمرو ومعاوية دبر كل صلاة، وقلبها دام ودمعها سيال كالمطر المالح ، وضمت اليها ابنى محمد رغم الحاح عبد الرحمن فى ضمهما له .

ثم بقيت حادثة ذكرها الأستاذ عبد الحميد جودة

السحار رحمه الله وهى رائحة الشـــواء التى تغيرت لشمها ملامح السيدة عائشة ، وأحست أن شيئا يقطع كبدها وأمعاءها وكف أهل البيت عن أى شواء ، ربما كانت تهتاج عليها ذكرى حرق أخيها وهل غير ذلــك الخيال بقى فى صدرها وكأنه القدر الذى أراد أن تحيا السيدة عائشة وكبدها يتقطع أو يشوى بالحريق .

معاويــة يسعى اليها

ان معاوية لما أزمع على أن يورث الخلافة ابنــه يزيد ، كرس كل شىء فى نفسه ونفوس أتباعه لانفاذ هذا الأمر ، وسعى سعيا دءوبا بين الناس والمناهضين لحكم على على وجه الخصوص ليتنزع ليزيد البيعة ، وليترك اذا ترك الدنيا الخلافة فى بنى أميــة ، وآل سفيان بن حرب خاصة .

وقد فشل معاوية مع بعض صحابة رسول الله على رأسهم ابن عباس وفشل أيضا مع الحسين بن على ،

ومع عبد الله بن الزبير ومع عبد الله بن جعفر ، وكان رد عبد الله بن الزبير ردا قاطعا فى مواجهة ما يقدم عليه معاوية ورد عليه بأبيات قال فيها :

ألا سمع الذى أنا عبده
فأخزى اله الناس من كان أظلما

آجرى على الله اعظيم بحلمه
وأسرعهم فى الموبقات تقحما

أغرك أن قالوا حليم بعزة
وليس بذى حلم ولكن تحلما

ولو رمت ما ان قد عزمت وجدتنى
هزبر عرين يترك القرن أكتما

وأقسم لولا بيعة لك لم أكن
لا نقضها لم تنج منى مسلما

وحين رأى معاوية ذلك الاعراض الشديد عن رغبته ، وتلك الارادة الفولاذية التى تقف فى مواجهته أصدر أوامره الى سعيد بن العاص والى المدينة بأخذ

البيعة ليزيد من جميع أهلها وأعمل سعيـــد أوامر معاوية ولكنه لم يفلح ورفض الناس البيعة وجن جنون معاوية حين أبلغه أن الناس يتبعون الحسين ومن معه .

أتراه اذن لما فكر فى الذهاب الى السيدة عائشة برا بها وتقربا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أنه أراد أن يدهن ويمكر لينال البيعة ليزيد عن طريق تأثير السيدة عائشة ألم يتذكر معاوية أنه قتل أخاها محمد ابن أبى بكر ألم يتذكر معاوية فعلة مؤيده معاوية بن خديج حين مثل بجثة أخى السيدة عائشة وفصل رأسه عن جسده وبعث بالرأس لمعاوية ووضع الجسد فى بطن حمار وأحرقه ولكنه يفعل أى شىء من أجل امارة يزيد وجاء السيدة عائشة من الشام ومعه خلق كثير واستأذن عليها فأذنت له وحده وكان ذكوان مولاها هو الوحيد الذى حضر اللقاء ولم تكن السيدة عائشة بطبيعـــة الحال مرتاحة لهذا اللقاء فهى تعلم نفس معاوية وقد تبينت الأمر بعد اقتتاله على السلطة وما فعله بأخيهـــا محمـــد .

فقالت له : يا معاوية أكنت تأمن أن أقعد لك رجلا

فأقتلك كما قتلت أخى محمد بن أبى بكر . فقال معاوية محاولا أن يهدىء الموقف : ما كنت لتفعلين ذلك قالت : لم ؟ قال : لأنى فى بيت أمى .. بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد حاولت السيدة عائشة جهدها أن تسدى له النصيحة ،وذكرت له سير الصالحين من السابقين ، وذكرت له حلم النبى وكيف كان يقود الأمة..وذكرت له أبا بكر وعمر .. وحاولت أن تحضه على الاقتداء بأعمالهم ، فقال لها حسن صنعت : أنت والله يا أم المؤمنين العالمة بالله وبرسوله . دللتنا على الحق ، وحضضتنا على حظ أنفسنا وأنت أهل لأن يطاع أمرك ، ويسمع قولك وان أمر يزيد لقضاء من القضاء وليس للعباد الخيرة من أمرهم وقد أكد أناس بيعتهم فى أعناقهم وأعطوا عهودهم ومواثيقهم . والسيدة عائشة تنصت وفى نفسها ذلك الألم الشديد وهذا الكلام الذى رد به على محمد بن أبى بكر يوم أرسل يتهدد محمد فرد عليهمحمد بصلابة وقوةفكانت رسالته التى أفصح فيهاعنموقفه من الخلفاء الراشدينأبوبكر

وعمر على وجه التحديد وكانت هى الحقيقــة التى لم تخفها مداهنته ليطلب المبايعة ليزيد ألا تذكر هى هذه الرسالة حين قال فيها : « أما بعد فقــد أتانى كتابك تذكر فيه ما لله فى عظمته وقدرته وسلطانه وما اصطفى به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله مع كلام كثير لك فيه تضعيف ولأبيك فيــه تعنيف وذكرت فيه فضل ابن أبى طالب وقديم سوابقه وقرابته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومواساته اياه فى كل هــول وخوف فكان احتجابك على وعيبك لى بفضل غيرك لا بفضلك فاحمد ربا صرف هذا الفضل عنك وجعله بغيرك فقد كنا وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبى طالب وحقه لازما لنا مبرور علينا فلما اختار الله لنبيه عليــه الصلاة والسلام ما عنده ، وأتم له ما وعده وأظهــر دعوته فأبلج حجته وقبضه الله اليه صلوات الله عليــه كان أبوك وفاروقه أول من ابتزه حقه وخالفه على أمره، على ذلك اتفقا واتسقا ثم انهما دعواه الى بيعتهمـا فأبطـأ عنهما ولكأ عليهــا فهما به الهموم وأرادا به

العظيم • ثم انه بايع لهما وسلم لهما وأقاما لايشركانه
فى أمرهما ولا يطلعانه على سرهما ، حتى قبضهما الله
ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما
فعبته أنت وصاحبك حتى طمع فيه القاصى من أهل
المعاصى ، فطلبتما له الغوائل وأظهرتما عدوانكما ،
حتى بلغتما فيه مناكما فخذ حذرك يا ابن أبى بكر
وقس شبرك بفترك يقصر عن أن توازى أو تساوى من
يزن الجبال بحلمه ، لا يلين عن قسر قناته ولا يدرك
ذو مقال اناته مهد مهاده وبنى لملكه وشاده فان يك
ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به فنحن شركاؤه ،
ولولا ما فعل أبوك ما خالفنا ابن أبى طالب ولسلمنا اليه
ولكن رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثله ،
فعب أباك بما بدا لك أودع ذلك » • هذا الكلام ينقض
سير الخليفتين ويضع رأس الأمة فى التراب وشاء
معاوية أن يتلاعب بالألفاظ والأحداث ويصوغ هذا
الرد محمد بن أبى ولكن هو رد أظهر ما يبطن
وأفصح عما أضمر وهل ترى السيدة عائشة لم تكن
تقرأ هذه الرسالة وهى تستقبل معاوية وألم تكن تنعمق

أبعادها النفسية وهى تحدثه وتعلم ما يخفى وترفض ما يعلن لقد شاءت السيدة عائشة أن ينتهى لقاء معاوية بسلام وأن تكتفى بنصحه وتوجيهه فقالت وهى تصرفه فى أدب : أما ما ذكرت من عهود ومواثيق فاتق الله فى هؤلاء الرهط ولا تعجل فيهم فلعلهم يصغون الا ما أحببت وقام معاوية يتمتم : تالله ما رأيت قط خطيبا أبلغ من عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الخاتمة والرحيل

لعلك تسأل الآن لم تتعجل نهاية الرحلة وقد تستطيع أن تمد الخطو وتمعن فى التحليل ، وتتوهج بأحداث جديدة من الأحداث القديمة التى عرفناها من الكتب وألفناها فى السير ؟

وأتساءل معك أنا أيضا لم أفعل وقد أوشكت أن أفعل وكنت قد أزمعت سفرا أطول وصحبة أبقى على صفحات مترامية فسيحة .

ولست أخفيك سرا أنى أنست فى نفسى وجلا فصرت اليه وأيقنت أنى أديت شيئا من الأمانة التى حملتها على كاهلى ساعة أن بدأت الكتابة عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها •

وكم أحببت أن أعيش معها فوجدتنى فعلا أعيش معها عيشا متصلا حين أقرأ سورة النور وهذه خير من كتابى ومن كتاب آخرين يزعمون أنهم يردون عن السيدة عائشة فرية افتراها الآثمون •

ويزعمون أنهم حللوا شخصيتها وأعطوا مفاتيحها للناس فهم يلجأون اليها ويدخلونها كما يدخلون شخصية شجرة الدر « أو كليوباترا » أو « الملكة فريدة » •

وهانت كل مشاعرى عند هذه الدمعة التى انهارت بعدها خلجات نفسى وأدركت كم أحب أمى •• أمنا السيدة عائشة رضى الله عنها •

فكأنى أودعها الآن لكأنها تفيض روحها الطاهرة

الى بارئها وأنا أقرأ حديث الواقدى حين قال : حدثنا ابن أبى سبرة عن موسى بن ميسرة عن سالم سبلان:

أنها ماتت فى الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان بعد الوتر فأمرت أن تدفن من ليلتها فاجتمع الأنصار وحضروا فلم تر ليلة أكثر ناسا منها نزل أهل العوالى فدفنت بالبقيع .

لقد حزن المسلمون حزنا شديدا وترقرق الدمع فى المآقى وسرى البكاء يفعل بالنفوس ما يشاء وعلا صياح ونشيج ألم تكن السيدة عائشة رضى الله عنها ممن تبكى عليهم . نعم بكت السماء والأرض وانتهت حياة شريفة ترتقب منزلا فى أعلى عليين وطويت صفحة رائعة بما فيها من معاناة وصبر وتقوى وصلاح وصفاء اكتمل بعد متاب تفتحت له أبواب السماء . نعم حزن شديد عليها . نعم ألم لفراقها .. فعن أم سلمة :

أنها لما سمعت الصرخة على عائشة قالت : والله كانت أحب الناس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أباها .

وقال ابن سعد : أخبرنا محمد بن عمر :حدثنى ابن سبرة عن عثمان بن أبى عتبق عن أبيه قال : رأيت ليلة ماتت عائشة حمل معها جريد بالخرق والزيت وأوقد ورأيت النساء بالبقيع كأنه عيد .

وقال محمد بن عمر حدثنا ابن جريج عن نافع قال : « شهدت أبا هريرة صلى على عائشة ليلا . وقد اختلفت الروايات التى رويت فى السنة التى توفيت فيها فبعضهم ذهب الى أنها ماتت سنة ثمان وخمسون مثل الواقدى وبعضهم ذهب الى أنها ماتت سنة سبع وخمسون مثل أحمد بن حنبل وشهاب .

وبذلك تكون قد توفيت وعمرها ثلاث وستون سنة أو أربع وستون رضى الله عنك يا أم المؤمنين أيتها العالمة يا أحب خلق الله الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيتها التوابة المستغفرة وحسبى أن يتنحى قلمى وقد شئت أن أقطع مع سيرتك أشواطا طوالا ولكن.. حسبى مثل الذى جرى به المداد وحسبى آنى اذ

اختصر الطريق اليك اختصارا أنك من أنزل فى براءتك
قرآن يتلى الى يوم الحساب

فهل يعلو مع صوت السماء صوت آخر لا يغنى
ولا يسمن من جوع • ربما هو صوتى أنا •

(الحمد لله)

رقم الايداع ١٩٩١/٢٠٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 — 01 — 2675 — 6

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

حديث الإفك اهتزت له أركان الأرض انتظر أهلوها المدد من السماء حتى تقال العثرة ، وتنجلي الكربة . شائعة هي ، ولم تكن من الصدق في شيء الا أن الالتباس وقع ، إلى أن نزلت براءة من السماء .